



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قال ربي اشرح لي صدري (25) و يسر لي

أمري (26) واحلل عقدة من لساني (27) يفقهوا

﴿ قولي (28)﴾

سورة "طه" ، الآيات (25-26-27-28)

# إهداء

إلى من بعثني إلى الحياة والدي الكريمين.

إلى جميع أفراد عائلتي خاصة أخي "حاند" الذي طالما كان يدعو لي بالنجاح والتوفيق في مشواري الدراسي.

إلى الشعلة التي ما انفكت تنير دربي وتبعث فيا الأمل كلما أطل عليّ غيم السواد، إلى قريبي الفاضل السيّد "مجيد".

إلى كل من عرفني وأحبني وأكنّ لي الإخلاص والوفاء أهديهم جميعا ثمرة جهدي.

# كلمة شكر

لله الحمد أولاً أن منّ عليّ باتمام هذا البحث. وبعدها جزيل شكري إلى الأستاذة المشرفة "ذهبية حمو الحاج" على ما بذلته من مجهود من أجل أن يتخذ البحث الصورة التي هو عليه الآن.

وإلى كل الأساتذة الذين لم يبخلو عليّ سواء بكتبهم أم بتوجيهاتهم وأخص بالذكر الأستاذ "عباس عبدوش" والدكتور "صلاح عبد القادر" فلهم منّي خالص التقدير والعرفان.

مقدمة

## مقدمة:

يعد موضوع الحجاج من أهم المواضيع التي سال عليها الحبر كثيرا، وهذا نظرا لأهميته وقيمه الأدبية والإنسانية التي أصبحت تتجلى أكثر خاصة في عصرنا الحالي وظهور التكنولوجيا والعولمة، حيث غدا هم الأمم الوصول إلى أنجع طريقة حجاجية تمكن من تحقيق الإقناع، وموضوع الإقناع ليس بالجديد فطالما كان يمثل غاية الإنسان منذ الأزل، وأفضل مثال يؤكد هذا هو المدونة التي بين أيدينا وهي "محاورة جورجياس" التي ألفها أفلاطون حول موضوع البلاغة؛ حيث يلتبس فيها القارئ سعيًا دؤوبًا من طرف الأطراف المتحاورين لتحقيق الإقناع عن طريق تقديم أقوى الحجج.

ولقد وقع اختياري على هذا الموضوع لأسباب أهمها:

- جودة الموضوع و أهميته في الدراسات اللسانية المعاصرة.

- ندرة الدراسات حول المدونة.

إلى جانب الدافع الذاتي المتمثل في فضولي الكبير لمعرفة الطرق الحجاجية الموظفة في المدونة لغرض تحقيق الإقناع.

تمثل إذن هذه المدونة مجالا خصبا لتقصي ظاهرة الحجاج ومحاولة الإجابة عن

الإشكاليات التالية:

- فيم يكمن الحجاج؟ وما هي منطلقاته الأولية؟ وكيف كان يتمظهر؟ وهل نظر إليه بالمنظور نفسه الذي نظر إليه حاليا؟

- ما مفهوم الجدل، البرهان، المناظرة، والمحاورة؟ وما علاقة هذه المصطلحات بمصطلح

الحجاج؟

ما هي الآليات الحجاجية اللغوية التي اعتمدها مرسل الخطاب من أجل التأثير في المتلقي

وتحقيق الإقناع؟

و قد قسمنا البحث إلى فصلين مع مقدمة و خاتمة و ملحق:

الفصل الأول: وعنوانه ب "الحجاج و إشكالاته" ، حيث تطرقنا فيه للمفهوم اللغوي و الاصطلاحي للحجاج ، كما تفصينا مصطلح الحجاج من بداياته اليونانية الأولى إلى غاية ظهور معالمه كنظرية في الفكر البلاغي المعاصر، إلى جانب هذا قمنا بتسليط الضوء على أهم المصطلحات التي يلتبس معها مصطلح الحجاج محاولين الوصول إلى معرفة أهم الفروقات بينها.

-الفصل الثاني: وسمناه "بالنظرية الحجاجية للغة " وفيه آثرنا التطرق لموضوع الحجاج من المنظور اللغوي، معرجين في هذا على منطلقاته الأساسية وعلى أهم آلياته و تقنياته التي حاولنا تطبيقها على مدونتنا التي تمثل مجالاً ملائماً لمثل هذه الاستراتيجيات الحجاجية.

- الخاتمة: مثلت إدراجاً لأهم ما توصلنا إليه في البحث من نتائج.

-الملحق: كان تقديماً للمدونة مع أخذ عينة من أجزائها.

وبموجب أننا بصدد دراسة موضوع الحجاج وأن هذا الأخير يمثل مبحثاً من مباحث التداولية ارتأينا الاعتماد على المنهج التداولي وهذا نظراً لملاءمته لهذا الموضوع ،وكذا لما يوفره لنا من آليات تسمح لنا بتقصي الظاهرة الحجاجية.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المراجع أهمها: كتابا طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، و في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، وكتاب حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، وكذا كتاب اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي.

وبموجب أن لكل بحث علمي صعوبات وعراقيل تواجهه، فقد واجهتنا صعوبات أهمها عدم إيجاد المدونة إلا في فترة متأخرة من الزمن، إلى جانب عدم وجود دراسات أقيمت حولها إلا بعض المقالات التي يصعب العثور عليها ، وعليه نقص المراجع التي بإمكانها أن تساعدنا في تطوير البحث أكثر.

وأمل في الأخير أن نكون قد وفينا المدونة حقها من الدراسة ولو بشكل ضئيل نظرا لقيمة المدونة وأهميتها التراثية التي مهما درسناها فإنها مازالت تستحق الدراسة أكثر، وهذا ما ننصح به إخواننا الدارسين، فعسى أن نكون قد فتحنا المجال لدراسات معمقة لهذه المدونة.

ونختم بحمد الله وشكره على إتمامنا لبحثنا، كما نتفضل بجزيل الشكر والامتنان للأستاذة المشرفة على توجيهاتها وإرشاداتها القيمة.

# الفصل الأول:

## الحجاج و إشكالاته

### 1- مفاهيم الحجاج :

1-1 الدلالة اللغوية للحجاج.

2-1 مفهوم الحجاج في البلاغة اليونانية.

3-1 الحجاج في الفكر البلاغي المعاصر عند الغرب وعند العرب.

### 2- إشكالية مصطلح الحجاج :

1-2 الحجاج والجدل.

2-2 الحجاج والبرهان.

3-2 الحجاج والمناظرة.

4-2 الحجاج والمحاورة.

**تمهيد:**

يعتبر مصطلح الحجاج من أهم المفاهيم المتداولة في الدراسات المعاصرة، وهذا نظرا لمكانته المتجذرة منذ الأزل، وعليه نجد عددا كبيرا من الدراسات التي أسهبت في تناوله سواء بصورة معمقة أم سطحية، ونحن سنحاول في بحثنا هذا التطرق إلى هذا المفهوم كمصطلح قبل أن نعرض لدراسته كنظرية و التوغل في حيثياته.

**1- مفاهيم الحجاج:****1-1 دلالة مصطلح الحجاج اللغوية:**

بالعودة إلى المعاجم اللغوية نجد دلالات متعددة لمصطلح الحجاج، ففي لسان العرب وتحت مادة (ح،ج،ج) مشتقات مختلفة: فمنها الحج أي القصد، وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة وحجه حجا غلبه على حجته، والحجة هي البرهان، وهي ما دافع به الخصم.<sup>1</sup>

أما الزمخشري فقد تناول مصطلح الحجاج في قوله: "احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب زجاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجة وملاجة".<sup>2</sup>

فالحجاج في ضوء هذين التعريفين يظهر في سياق التخاصم والتنازع من أجل الغلبة والظفر وذلك بالارتكاز على الحجج التي تتيح الوصول إلى الإقناع، الذي يصبو إليه كل طرف من الأطراف المتنازعة.

ونجد مقابل لفظة الحجاج في اللغة الفرنسية لفظة Argumentation، والتي تتمثل حسب معجم Le Petit Larousse في مجموع الحجج والتقنيات التواصلية الموظفة من أجل إقناع الطرف الآخر برأي ما.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج2، ط1، دار صادر، بيروت، 1990، ص228.

<sup>2</sup> أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، ط1، دار الصادر، بيروت، 1992، ص113.

<sup>3</sup> Le petit larousse :Dictionnaire de la langue Francaise, Paris, 2007,p63.

أما في قاموس Le grand robert فيدل على معاني متقاربة:

- "القيام باستعمال الحجج
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة"<sup>1</sup>

ولقد أخذت كلمة Argument من الفعل اللاتيني Arguerre، ويعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا، وهي بدورها من جذر إغريقي Argues.Apyns، وتعني أبيضاً لامعاً<sup>2</sup>.

أما في اللغة الانجليزية فتشير لفظة Argu إلى "الاختلاف القائم بين طرفين، حيث يرمي كل طرف إلى إقناع الطرف الآخر بوجهة نظره بتقديم العلل التي تدعم أو تدحض فكرة أو رأياً أو سلوكاً ما"<sup>3</sup>، ويتضح من كل هذا أن دلالة الحجج في المعاجم الأجنبية متقاربة مع دلالتها في المعاجم العربية.

لكننا يمكن أن نتفق أن الحجج هو طريقة يوظفها أحد أطراف العملية التخاطبية بغية إقناع الطرف الآخر معتمداً في ذلك على حجج تمثل ركائز يبني عليها أطروحته لحث المخاطب على الاعتقاد ثم العمل بها.

لقد سمحت لنا العودة إلى معاجم مختلفة بالقبض على الدلالة اللغوية للحجاج، إلا أن المفهوم اللغوي غير كاف إزاء هذا المصطلح الذي أصبح علماً قائماً بذاته، فلا بأس إذن أن نتناول الدلالة الاصطلاحية للحجاج.

## 2-1 الحجج اصطلاحاً:

قبل التطرق إلى مصطلح الحجج بمفهومه الحالي كنظرية مستقلة لها طرائقها وأركانها، يفترض علينا معرفة المنطلق الأولي لهذا المصطلح: متى ظهر؟ وأين؟ وفيما كان يتمظهر؟

<sup>1</sup> : Le grand robert, Dictionnaire de la langue Francaise, 1<sup>er</sup> édition , Paris, 1990, p65

<sup>2</sup>: حافظ اسماعيلي علوي: الحجج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص 02.

<sup>3</sup> : Longman,dictionary of contemporary English, Longman, 1989, p34

هذه أسئلة سنحاول الإجابة عليها في العنصر الموالي.

## 1-2-1 الحجاج في البلاغة اليونانية:

عبر أطوار تاريخها الممتد، لا بست البلاغة الخطابة، وارتبطت بها، وبذلك انطوت منذ ميلادها الأول على حمولة الإقناع، وارتبطت بسطوة التأثير، يقول جابر عصفور: "البلاغة نشأت ملازمة للخطابة ولم تفارق ما ارتبط بها من مخيلة الإقناع وما تؤديه هذه المخيلة من وظيفة إيديولوجية تتصل بإيقاع التصديق في النفوس"<sup>1</sup>

يسجل التاريخ أن البلاغة اليونانية نشأت إثر دعاوي الملكية؛ ففي حوالي 485 ق.م، قام طاغيتان وهما 'جیرون' و'هیرون' بترحيل سكان صقيلية ونزع ممتلكاتهم، ولما أسقطا من طرف انتفاضة ديمقراطية، ظهرت هنالك دعاوي لاسترجاع الملكية المسلوقة، ومن سمة هذه الدعاوي أنها كانت قائمة على تعيين لجان تحكيم شعبية كبرى يشترط على الشخص المائل أمامهم أن يكون فصيحاً حتى يتمكن من إقناعهم<sup>2</sup>، وهكذا ارتبط الحجاج بالمجالس القضائية، قبل أن يظهر بعد ذلك في جنسين آخرين هما: الاستشاري والاحتقالي.

ومن هنا أصبح الاهتمام بالبلاغة وكيفية اكتسابها من أهم الأمور التي تشغل بال اليونانيين، والفلاسفة على وجه الخصوص وسرعان ما تحولت إلى موضوع للتدريس، و كان من أول المعلمين "كوراكس" الذي طالب بالمال مقابل إلقاء دروسه، وانتقل التدريس بعد ذلك إلى أثينا بفضل منازعات التجار.<sup>3</sup>

وفي ظل النظام الديمقراطي الذي يمنح الحرية في إطلاق عنان الأفكار والتجاج لها، ظهرت هنالك فئة من الفلاسفة عنيوا بتلقي فنون الخطابة، وسموا أنفسهم بالسوفسطائيين نظراً لحكمتهم

<sup>1</sup>: جابر عصفور: بلاغة المقموعين، ضمن: المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، ط2، دار قرطبة، الدار البيضاء، 1993، ص 07. نقلا عن عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، دار الأمان، الرباط، 2013، ص 27.

<sup>2</sup>: ينظر: رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أركان، إفريقيا الشرق، 1994، ص 15.

<sup>3</sup>: ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وبراعتهم في فنون القول؛ حيث أن المعنى الاشتقاقي لكلمة "سوفسطائي" كانت تعني "الحكيم والرجل ذا الكفاءة المتميزة في كل شي" <sup>1</sup>.

يجمع المؤرخون على أن السفسطائيين كانوا مجموعة من المعلمين الأحرار، الذين كانوا يلقنون الشباب فن الكلام والخطابة من أجل الوصول لنيل المناصب العليا في الدولة، وكان ذلك مقابل أجر مرتفع، وكانت حياتهم الفكرية عبارة عن معارك قولية، يشهرون فيها قدراتهم اللغوية ومهاراتهم الإقناعية، وكانوا يعتبرون أنفسهم سلاطين القول بلا منازع. وقد قال فيهم "جورجياس" في محاورته "سقراط": "قادرون بلا شك أن يتكلموا ويعارضوا الجميع، ويتناولوا كل الأشياء في حديثهم بصورة تتال رضا الجمهور أكثر من أي شخص فيقنعونهم بأي موضوع وقع عليه اختيارهم" <sup>2</sup>.

اشتهر السوفسطائيون باعتمادهم سلطة الخطابة لنشر آرائهم واتقان الاحتجاج لها، لذلك غلبت عليهم صفة الخطباء، وعرفوا أكثر بما كانوا يعلمونه شباب أثينا من طرق الإحسان في الخطابة وكيفية التغلب على الخصوم، كون القول الخطابي يفوق المعارف البشرية الأخرى، يقول "جورجياس": "إن حصون أثينا وموانئها -أي فضاءات الاقتصاد والقوة، إنما بناها أصحاب القول لا أهل الصنائع" <sup>3</sup>، فالى الخطباء يعود الفضل إذن في بناء أثينا و تكوين قوتها كما يرى جورجياس.

هكذا ارتبطت الخطابة بالسوفسطائيين، حتى أصبح ذكر الأول يحيلنا إلى الثاني، ومن هنا تدخل الحجاج بالخطابة التي كانت تمثل الممارسة الفعلية للحجاج، حيث كانت تقوم على الاتيان بمختلف أنواع الحجج، واستعمال كل الطرق الممكنة من أجل الإقناع.

وتلك الطرق والأساليب القولية المتجرّدة من القيم والأخلاق أشعلت في قلوب فلاسفة الطبيعة نار العداء حيال هذه الفئة من المعلمين، الذين يدعون العلم والحكمة لكنهم في حقيقتهم كما

<sup>1</sup>: هشام الرفي: الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998، ص 54.

<sup>2</sup>: رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة: التوجه التداولي الجدلي نموذجاً، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص 201

<sup>3</sup>: ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 29.

يصفهم أفلاطون، "قوم يجتمعون على تضليل الشباب ونشر الأوهام والأغاليط بين الناس، عمدتهم في ذلك أسلوب التهيج العاطفي، وشحن المشاعر لكي تغيب كل ملكات التفكير الهادئ والمتزن".<sup>1</sup>

لقد عدى أفلاطون السوفسطائيين عداء شديداً، وقبله أستاذه "سقراط" الذي تخوف من عاقبة الطرق التي يوظفها أولئك المعلمون الأحرار، فدرس الخطابة، وأقامها على التدليل، وبنائها على التركيب والتحليل النفسيين، واشترط المعرفة بنفوس الجمهور من أجل مخاطبتهم بما يلائمهم.<sup>2</sup>

بحث أفلاطون في محاورة جورجياس عن الخطابة ووظيفتها وألزم أن يكون موضوعها قائماً على العلم لأنه هو الذي يبني على مبادئ صادقة، ويكون الإقناع الذي يحققه مفيداً، يكسب للإنسان المعرفة، في حين إذا كان موضوع الخطابة قائماً على معيار الظن، فإن الإقناع الذي يتولد عنه لا يحقق للإنسان إلا اعتقاداً ولا يكسبه معرفة حقيقية ثابتة.<sup>3</sup>

لقد مارس أفلاطون الحجاج إذن من خلال محاوراته مع بعض السوفسطائيين ليبين أن تلك الفئة من الفلاسفة ليسوا إلا مضللين لا يملكون الحقيقة ولا يورثونها.

يرى أفلاطون أنّ صناعة الخطابة يجب أن تبنى على ثلاثة أركان أولها: اعتماد المنهج الجدلي في القول الخطابي؛ كونه ينقل الحجاج من مجال الاحتمال إلى مجال الحقيقة.

أما الركن الثاني فيتمثل في معرفة أنواع النفوس وما يلائمها من أقاويل، ومدار تحقيق التناسب بين القول والسامع، ويتعلق الركن الثالث من المشروع بضرورة تحقيق توافق في مستوى الأسلوب.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>: رشيد الراصي: السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص 203.

<sup>2</sup>: ينظر: أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 194.

<sup>3</sup>: ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 63.

<sup>4</sup>: ينظر: هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ص 81-83.

فهذه الأركان الثلاثة عبارة عن مرتكزات أساسية أراد من خلالها أفلاطون أن يجعل الخطابة جدلية فلسفية يمارس فيها الحجاج على وجه يتناسب مع المبادئ التي ينادي بها.<sup>1</sup>

أما أرسطو، فكانت نظريته حيال الخطابة مختلفة عن نظرة أستاذه أفلاطون، يعرفها - حسب ترجمة عبد الرحمن بدوي- "الريطوريقة (الخطابة) قوة تكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"<sup>2</sup>، فالخطابة في نظر أرسطو صناعة مدارها إنتاج قول يبني به الإقناع في مجال المحتمل، وهي علاقة بين طرفين يحاول أحدهما التأثير في الآخر ليوجه به فعله ويثبت به اعتقاداً.<sup>3</sup> فهي إذن خطاب حجاجي قائم على وظيفتي التأثير والإقناع، وموجه إلى جمهور سامع قصد توجيهه وإقناعه.

يجمع الباحثون أن "أرسطو" هو المؤسس الحقيقي للبلاغة، التي يعتبرها فناً خطابياً بامتياز، قائمة على توظيف أدوات حجاجية واستدلالية للتأثير في الآخر، ومن بين هذه الأدوات ما يكمن في المتكلم وأخلاقه، فإذا كان ذا أخلاق فاضلة، كانت حضوره في إقناع المخاطب أكبر وهذا ما يصطلح عليه عند اليونان بالإيتوس (Ethos).

أما الباتوس (Pathos) فهو مجموع انفعالات المستمع وعواطفه التي يسعى المتكلم لإثارها لينفعل معه وتدعن نفسه، في حين تمثل بنية اللغة كلمة لوغوس (logos) التي تتجمع فيها وجوه الاستدلال\* سواء بالقياس<sup>£</sup> أو عن طريق الاستقراء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: المرجع نفس، ص 84.

<sup>2</sup>: أرسطو: الخطابة، تر: عبدالرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 9

<sup>3</sup>: ينظر: هشام الربيعي، الحجاج عند أرسطو، ص 12.

\*: الاستدلال عملية إجرائية عقلية يستفاد من خلالها، وبها أن قضية أو عدة قضايا (مقدمات) تتضمن الحقيقة، الأرجحية أو البطلان بالنسبة لقضية أخرى.

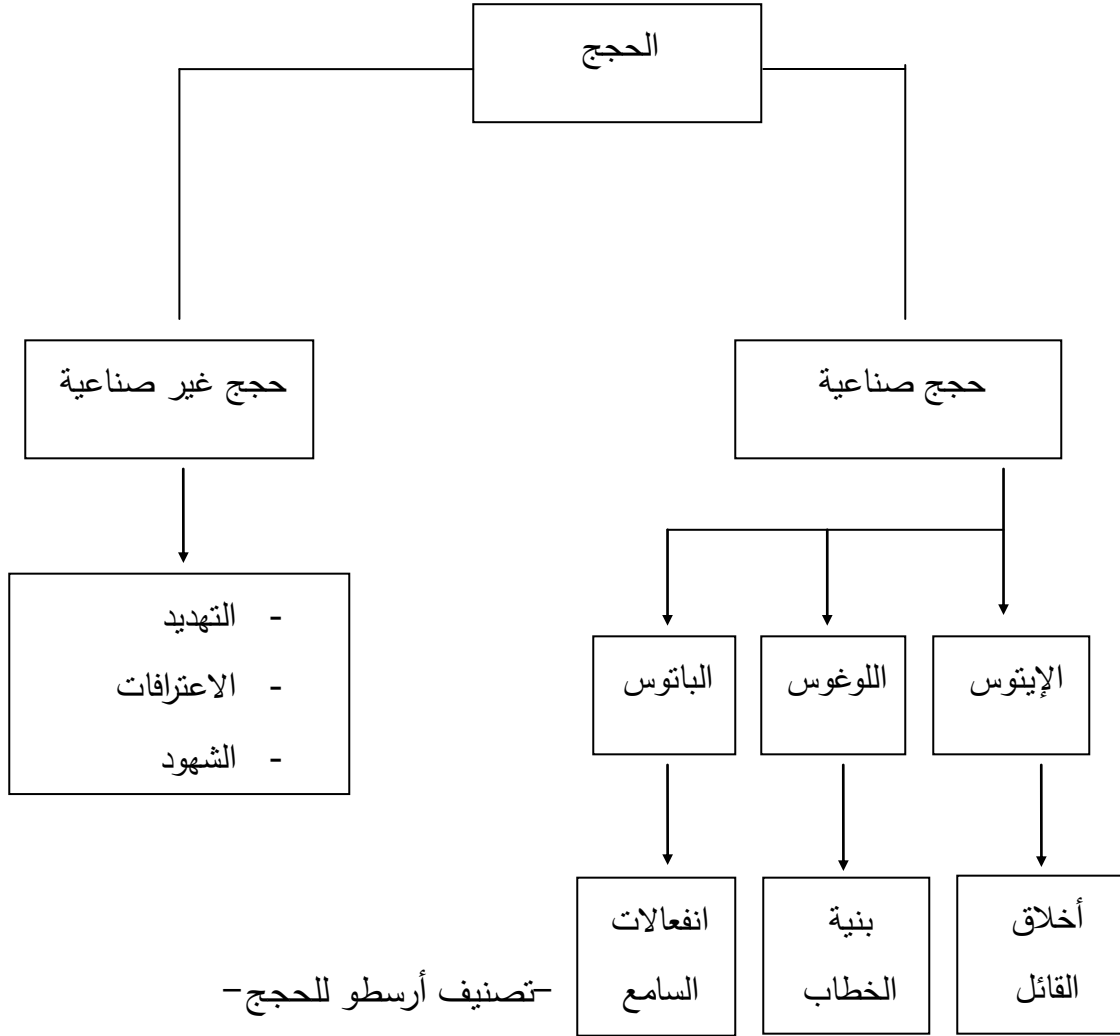
£: القياس ضرب من الاستدلال الاستنباطي، وهو عند أرسطو قول مؤلف من أقوال، إذا وضعت لزم عنها لذاتها قول آخر غيرها، ضرورة، فماهية القياس عنده لزوم النتيجة من المقدمتين.

\*: الاستقراء عملية فكرية قوامها الانتقال من عدة قضايا معينة إلى قضية أو عدد أصغر من قضايا أعم

<sup>4</sup>: ينظر: حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 12-13.

ومجموع هذه الوسائل تمثل التصديقات أو الحجج الصناعية التي يستوجب إعدادها مجهودا فكريا، أما غير الصناعية فتكمن في الشهود والاعترافات، وهي متوفرة يمكن الاستفادة منها<sup>1</sup>

ويمكن لنا أن نلخص ما قلناه في المخطط التالي:



ذكر أرسطو دور الخطابة في تحقيق العدل، فقال: "إن الخطابة مفيدة (...). حتى أن قرارات القضاة إذا جاءت على غير ما ينبغي ان تكون، فإن الإخفاق مرجعه إلى الخطباء أنفسهم، ويجب

<sup>1</sup>: ينظر: أرسطو، الخطابة، ص 24

أن يلاموا تبعاً لذلك فإنه في التعامل مع نوع من الناس لن نجد من السهل إقناعهم بما لدينا من معرفة... لكن في حالة أمثال هؤلاء الناس يستحيل التعليم، وتصديقاتنا وحججنا يجب أن تستند إلى مبادئ مقبولة بوجه عام...<sup>1</sup>

فالمشكل في نظر أرسطو ليس في الخطابة كأداة توظف من أجل الإقناع، إنما الخلل يتعلق بالخطباء ونوع الحجج التي يوظفونها لذلك الغرض، فهو يشترط أن تكون قائمة على مبادئ مقبولة لتوصل لنتائج يقينية بعيدة عن الشك و الزيف.

وفي المقابل صنف أرسطو الخطابة السوفسطائية على أنها "استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة"<sup>2</sup>، أي مجرد سفسطة و تمويه بعيدة عن العلم و اليقين. ولقد اهتم بدراستها من أجل الكشف عن الحيل التي يوظفها السوفسطائيون، وتمييز الأقيسة السليمة عن غيرها من أجل عدم الوقوع في شركهم<sup>3</sup>.

فالخطابة السوفسطائية في نظر أرسطو ليست إلا وسيلة للتضليل والتغليب، فهي بعيدة عن الحقيقة التي يدعيها أصحابها.

### 1-2-2- الحجاج في الفكر البلاغي المعاصر:

بعد أن أعلن عن موت البلاغة في فترة الستينات، ظهرت بعد ذلك جهود بعض الباحثين لإعادة البلاغة إلى الواجهة لتشمل في ذلك جانبها الحجاجي الذي كان مهماً فترة من الزمن فيعيد بهذا اعتبارها الذي فقدته قبل هذا العصور، و لتتعرف إذن عن حمل هذا اللواء.

### 1-2-2-1: عند الغرب:

كان العلماء الغربيون أول السباقين للنظر في البلاغة و إعادة إحيائها من جديد و بالرغم من اختلاف مشاربهم إلا إنهم اتفقوا على أن البلاغة لا يمكن الاستغناء عنها، ومن أهم هؤلاء:

<sup>1</sup>: أرسطو، الخطابة، ص27.

<sup>2</sup>: رشيد الرازي: السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص 207

<sup>3</sup>: ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## 2-1-1: بيرلمان و النظرية الحجاجية المعاصرة:

مع ظهور كتاب "مصنف في الحجاج" البلاغة الجديدة الذي ألفه كل من 'شاييم بيرلمان' و'لوسي أولبريخيت تتيكا'، شهدت البلاغة نهضة جديدة إذ ساهم الكتاب في إقامة نظرية للحجاج لها مبادئها ومرتكزاتها، ولقد كانت غايته الأولى " إخراج الحجاج من سيطرة الخطابة والجدل الذي ظل فيها مرادفا للمنطق نفسه"<sup>1</sup> أي تحريره من ريقه المنطق و قيود استدلالاته.

فالحجاج في نظر الباحثين هو "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم".<sup>2</sup> فهو العلم بالميكانيزمات و الاستراتيجيات التي تمكنا من تحقيق الإقناع.

أما الغاية منه، فلا تتوقف عند مستوى تحقيق الإقناع الفكري بل تتعداه نحو الجانب العملي، وعن هذا يقول الباحثان: "إن غاية كل حجاج ان يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما يوفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة".<sup>3</sup>

لقد عمل الباحثان على تخلص الخطابة التي تعتبر أصل الحجاج من تهمة المغالطة والتضليل التي لا يستها مدة طويلة، كما عملا على تحرير الحجاج من أسر المنطق والاستدلال، ودفعه نحو الحرية والمعقولية، حيث لا مجال فيه لإلزام المخاطب بالتسليم برأي ما بل له الحرية الكاملة في الرفض أو القبول.<sup>4</sup> فالحرية إذن شرط أساسي لإنجاح عملية المحاجة و عليه، فإن ممارسة الإكراه أو

<sup>1</sup>: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتتيكا، ضمن

كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 298

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص 299

<sup>3</sup>: م ن، ص 229.

<sup>4</sup>: ينظر: م ن، ص 298.

التعسف يعتبر خرقاً لحقوق المخاطب الذي لا يعتبر مجبراً على الاقتناع بما يعرض عليه بأي حال من الأحوال.

ولقد تحدث الدكتور "جميل عبد المجيد" في كتابه "البلاغة والاتصال" عن هذا الموضوع قائلاً: "يسعى كل واحد منهما إلى نشر ما لديه من فكرة أو معتقد، أو بضاعة في سياق من الحرية، لا باستخدام السيف فلم يعد أمام هذه التيارات إلا استخدام حدّ الخطاب."<sup>1</sup>

أراد الباحثان أن يخالف الحجاج الخطابية والجدل فيبتعد عن الإلزام والاعتباطية، ويتسم بالحرية من أجل الوصول إلى الاقتناع دون إكراه أو حمل على الإقناع.

يتسم الحجاج في تصور الباحثين بملامح خمس هي:

- أنه يتوجه إلى سامع.
- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية.
- ليست نتائجه حتمية.<sup>2</sup>

ويمكن أن نخلص أن الحجاج في نظر "بيرلمان" و"تتيكا" حوار بين الخطيب وجمهوره، قائم على الحرية والمعقولية، وبعيد عن المغالطة والتمويه، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على اهتمام "بيرلمان" بالمتلقي والعمل على جعله عنصراً فعالاً له دوره في العملية التخاطبية.

1: جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب، دط، مصر، 2000، ص 115.

2: محمد الأمين سالم الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص 61.

## 2-1-2- الحجاج اللغوي عند ديكرو:

إن الحديث عن "ديكرو" يحيلنا إلى موضوع الحجاج في اللغة الذي تناوله بمعية زميله "كلود انسكومبر" في كتابهما "الحجاج في اللغة" حيث تطرقا فيه إلى الحجاج على أنه قوة كامنة في اللغة دون سواها، وفي نظرهما الحجاج هو "إنجاز لعمليتين هما عمل التصريح بالحجة من جهة وعمل الاستنتاج من جهة أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحا بها أم مضمنة"<sup>1</sup>.

هذا يعني أن للمتكلم إمكانية التصريح بالنتيجة أو إخفائها وعلى المتلقي استنتاجها من خلال بنيتها اللغوية.

ومن هذا المنظور، فإن الخطاب الحجاجي الذي ينتجه المتكلم يوجّه المتلقي نحو وجهة واحدة دون غيرها، وهذا ما ذكره "ديكرو" في كتابه "السلام الحجاجية"، حيث اعتبر أن هدف الخطاب الحجاجي "يتمثل في أن يفترض على المخاطب نوعا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يتوجه فيه"<sup>2</sup>.

فوظيفة الحجاج إذن في نظر "ديكرو" تكمن في التوجيه الذي لا يتأتى إلا باستعمال اللغة. فيمكن أن نخلص أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة أنه لا حجاج من دون لغة، وأن الغرض من الخطابات التي ينتجها المتكلمون هي التأثير في المخاطبين عن طريق ما تمنحه اللغة من آليات حجاجية تمكن من تحقيق الإقناع.

## 2-1-3- "ميشال مايير" ونظرية المساءلة:

يعرف "مايير" الحجاج على أنه "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"<sup>3</sup>. والحجة هي "جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدّر، يستنتجها المتلقي ضمنيا من خلال الجواب"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> :Anscomber et O.Ducrot, L'argumentation dans la langue, 1<sup>er</sup> édition, Bruxelles, Mardaga, 1983, p28

<sup>2</sup> :O.Ducrot, Les échelles argumentatif, édition de minuit, Paris, 1980, p60.

<sup>3</sup> : عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2 ، دار الفرابي ، بيروت، 2007، ص39.

<sup>4</sup> : المرجع نفسه، ص 41.

فالحجاج في نظره قائم على إثارة الأسئلة و انتظار الأجوبة التي تمثل الحجج التي سيسعى من خلالها المجيب إلى إقناع السائلة، إذن لا حجاج دون مساءلة.

يقول "مايير" في كتابه "أسئلة البلاغة": "إن الكلام وما يحويه يدفع إلى الحجاج وليس الحجاج سوى استغلال ما في الكلام من طاقة و ثراء"،<sup>1</sup> فلا وجود لحجاج من دون الكلام الذي يقوم أساسا على ثنائية السؤال والجواب في إطار التصريح والتضمين.

ولقد طابق "مايير" بين المساءلة والإشكال قائلا: "إن كل سؤال هو حاجز أو صعوبة أو حاجة واختيار ومن ثم فهو أمر إلى اتخاذ القرار"<sup>2</sup>، فطرح الأسئلة عبارة عن طرح للإشكاليات التي يجب البحث عن حلول لها و ذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة المطروحة.

## 2-2- عند العلماء العرب:

انتقلت موجة البلاغة إلى العلماء العرب اللذين تأثروا بما توصل إليه اللسانيون الغرب بشأن ضرورة بعثها من جديد، وكذا عدم اختزالها في جانبها الأسلوبي دون الإقناعي، و لقد حمل اللواء فئة من الباحثين العرب و سنحاول معرفة أبرز ما نادوا به من أفكار .

## 2-2-1- الحجاج عند أبو بكر العزاوي:

لقد أثمرت جهود اللسانيين الغربيين بإقامة نظرية للحجاج لها مبادئ ومرتكزات خاصة بها، مما أسفر عن اتساع مجالها واكتسابها لمفاهيم مختلفة، نظرا لتعدد واختلاف مشارب الباحثين. ولقد اجتاحت النظرية الحجاجية البلدان العربية، وتأثر علماءها بما قاله أولئك اللسانيون عن الحجاج، وكان أبرزهم "أبو بكر العزاوي"، الذي تأثر بما جاء به "ديكرو" فيما يخص النظرية الحجاجية في اللغة، حيث أنه وافقه هذا الأخير بالقول أن للغة وظيفة حجاجية تكمن في بنية الأقوال المشكلة لها.

<sup>1</sup> :Michel-Mayer, Questions de rhétorique, Paris, 1993, p 143.

<sup>2</sup> : Michel-Mayer, Logique, Langue et Argumantation, édition Hachette, 1982, p 124

فيعرف العزاوي الحجاج على أنه "إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها".<sup>1</sup> وعلى هذا الأساس، فالأقوال إذن ليست مجرد أصوات ينطق بها المتكلم لتؤدي معنى ما، بل هي قوة حجاجية يتمكن من خلالها المخاطب من التأثير في المخاطب وإقناعه برأيه. ولهذا يرى "العزاوي" أن المنطلق الأوّل للنظرية الحجاجية اللغوية هي أعمال كل من "أوستين" و"سيرل" حول الأفعال الكلامية والتي طورها بعد ذلك "ديكرو"، التي عمدتها أن للأقوال قوة إنجازية، حيث أن القول هو فعل في الآن ذاته.<sup>2</sup> كما تطرق العزاوي في مشروعه إلى نظرية السلم الحجاجي حيث أن هذا الأخير يمكننا من تحديد القيمة الحجاجية للأقوال إلى جانب تناوله لموضوع الروابط والعوامل ودورها في تشكل القول الحجاجي.

## -2-2-2- الحجاج عند طه عبد الرحمن:

اتسمت نظرة "طه عبد الرحمن" للحجاج بالطابع الفلسفي، الذي يظهر من خلال مؤلفاته التي أراد منها أن تكون رابطة بين الفلسفة ومجالها التداولي الذي تريد أن تحيا فيه<sup>3</sup> فيعرفه في كتابه "أصول الحوار وتجديد علم الكلام" بقوله: "وحدّ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور الاستدلال".<sup>4</sup> وعلى حدّ التعريف، فإن الخطاب الحجاجي مرتبط أساسا بسياقه الاجتماعي ويسعى بجدليته إلى بلوغ الإقناع، الذي يمنحه له توظيفه للصور الاستدلالية.

<sup>1</sup>: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة، ط1، الدار البيضاء، 2006، ص 16.

<sup>2</sup>: ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

<sup>3</sup>: ينظر: إبتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009، ص 172.

<sup>4</sup>: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 65.

أما في كتابه "اللسان والميزان"، فيعرف الحجاج على أساس مبدئين أولهما "قصد الادعاء"، الذي هو سمة المتكلم، حيث أنه يدعي بكلامه الصواب والحقيقة مستندا في ذلك على مجموعة من الحجج، أما ثانيهما فهو قصد الاعتراض أي من حق المخاطب أن يعترض على ما يدعيه المخاطب، حيث يقول عن هذا: "إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"<sup>1</sup>، فالعلاقة إذن بين المتكلم والمخاطب هي علاقة ادعاء واعتراض لا مجرد إرسال واستقبال.

و يمكن أن نخلص مما سبق أن جهود هؤلاء الباحثين سواء العرب منهم أم العجم مردها أنهم على دراية تامة بأهمية البلاغة كعلم يجمع بين الجانبين: الأسلوبي و الحجاجي ، فأى جانب منهما لا يشكل البلاغة بمفرده.

## 2- إشكالية مصطلح الحجاج:

يعتبر مصطلح الحجاج من المصطلحات التي يصعب الفصل في مفهومها وهذا نظرا لالتباسه مع مصطلحات أخرى متقاربة المعنى منه، فما هي إذن هذه المصطلحات؟ و فيما تكمن؟ و ما هي أوجه الاختلاف بينها و بين مصطلح الحجاج؟ أسئلة سنحاول الإجابة عليها و لو بصورة مختصرة في العنصر الموالي.

## 2-1 الحجاج والجدل:

كثيرا ما التبس مفهوم الحجاج بالجدل إلى درجة نجد فيها بعض الباحثين لا يضعون حدا فاصلا بينهما. فهل يوجد فرق بين المصطلحين؟ وإن وجد، ففيما يكمن؟

تشير الدراسات التاريخية، أن مصطلح "الجدل" متجذر في الحضارة اليونانية، ومقابل للفظة ديالكتيك *Dialéctique* في اللاتينية، والتي تعني أنا أتفكر، أنا أتفحص".

<sup>1</sup>: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 226.

وفي موسوعة لالاند نجد أن "الجدل قديما كان بمعنى فنّ المحاورّة والمساجلة، ثم تحول إلى فنّ التحوار القائم على الأسئلة والأجوبة وبعد ذلك تحوّل إلى فنّ تقسيم الأشياء إلى أنواع من أجل فحصها ومناقشتها"،<sup>1</sup> فالجدل فن من فنون الكلام قائم على التدبر و التمعن في تراكيب الأقوال من أجل معرفة صوابها من خطئها أثناء المساجلة و المحاورّة تقاديا للوقوع في شرك الطرف المتحوار معه.

وهذه التعاريف تمثل مفاهيم للجدل لدى كل من السفسطائيين وسقراط وأفلاطون: فمع السفسطائيين يصبح "الديالكتيك" فن الجدل أو فن المناقشة فن خطابة ساعيا للإقناع والانتصار في المحادثة<sup>2</sup>، فالهدف الأساسي من الجدل في نظر هؤلاء هو الغلبة و الانتصار على الخصم. أما عند سقراط فهو "الطريقة التي تسمح بدراسة المفاهيم ووضع التعريفات السديدة، وبوجه أدق المفاهيم الأخلاقية وذلك بإبراز السمات العامة والأساسية لمفهوم ما بطريقة الأسئلة والأجوبة"<sup>3</sup>، فهو إذن عند سقراط فرصة لوضع المبادئ و تكريس الأخلاق الفاضلة.

أما عند أفلاطون، فهو منهج في التحليل المنطقي، يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع بحيث يصبح علم المبادئ والحقائق الأزلية<sup>4</sup>، فيمثل إذن الجدل بهذا المفهوم مجالا لإقامة الحقائق الخالدة التي من شأنها أن توجه تفكير الناس و تنظم حياتهم، وهذه التعريفات هي مفاهيم فلسفية مرتبطة أساسا بطريقة التفكير التي تؤدي إما على الغلبة على الخصم أو إلى وضع المبادئ و الحقائق الأزلية.

أما في المعاجم العربية، فنجد ابن منظور يعرف الجدل أنه مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة<sup>5</sup>

<sup>1</sup>: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، ط2، م1، بيروت، 2001، ص272.

<sup>2</sup> ينظر: ثيوكاريسكيوس، سقراط، مسألة الجدل، تر: طلال السهيل، دار الفرابي، بيروت، 2005، ص25

<sup>3</sup>: م ن، ص26

<sup>4</sup>: فرج الله عبد الباري: مناهج البحث وآداب البحث والمناظرة، دار الأفاق العربية، ط1، القاهرة، 2004، ص 128.

<sup>5</sup>: ابن منظور: لسان العرب، م2، ص 28.

أما في قاموس المحيط، "فالجدل هو محرّكة اللدد في الخصومة والقدرة عليها"<sup>1</sup>، فالجدل وفق هذين المفهومين اللغويين هو منازعة ومخاصمة قائمة على توظيف الحجة من أجل الظفر في الخصومة.

أما اصطلاحاً، فنجد "أبا البقاء الكفوي" يعرفه أنه "عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله لحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره"<sup>2</sup>.

ونفس المفهوم نجده في كتاب "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة" يقول صاحبه: "يراد من المجادلة المنازعة لا لأجل إظهار الحق بل لأجل الانتصار على الخصم بإلزامه إن استطاع إفحامه"<sup>3</sup>.

نستنتج من هذه المفاهيم أن الجدل يدور في حقل التخاصم والتنازع من أجل الغلبة والانتصار شأنه في ذلك شأن الحجاج.

ولهذا لا نستغرب إن وجدنا بعض العلماء يساؤون بين هذين المصطلحين ومن بينهم، "أبو الحسن بن وهب" الذي يقول عن الجدل: "وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلون، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات والتتصل من الاعتذارات."<sup>4</sup>

فالجدل توظيف للحجج في الخصومات والخلافات، وعليه فيمكن القول أنه مرادف للحجاج.

<sup>1</sup>: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، م3، دار الجيل، بيروت، ص257.

<sup>2</sup>: الكفوي (أبو البقاء الحسيني)، الكليات، المطبعة العامرة، مصر، د.ت، ص 22

<sup>3</sup>: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، سوريا، 1975، ص 357

<sup>4</sup>: أبو الحسن إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح وند: جفنى محمد شوف، مطبعة الرسالة، مصر، د.ط، د.ت،

ولقد قسم ابن وهب الجدل إلى نوعين: جدل محمود، وجدل مذموم، "فأما المحمود، فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم وما أريد به الممارسة والغلبة، وطلب به الرياء والسمعة"<sup>1</sup>، وهذا التقسيم مصدره القرآن الكريم، وذلك من خلال توقيفه على ورود مصطلح الجدل في آيات مختلفة لارتباطه بسياقات متباينة.

أما عبد الله صولة في كتابه الحجاج في القرآن، فيرى أن الحجاج أوسع من الجدل، حيث كل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلا.

وباعتبار أن القاسم المشترك بين الجدل والخطابة هو الحجاج، فإنه نجد هناك حجاجين: حجاج خطابي وحجاج جدلي.

في حين نجد محمد التومي يورد لنا الفرق بين المجادلة والمحاجة نقلا عن: ابن عرفة -التفسير المخطوط - قوله: "إن بعضهم فرّق بين المحاجة والجدل بوجهين:

الأول: أنّ المحاجة استدلال الخصم على دعوى يعتقد حقيقتها، والمجادلة أعم من ذلك فتصدق على هذا وعلى إلزام الخصم مذهباً لا يقول به.

الثاني: أنّ المجادلة أقوى من المحاجة، لأن الجدل هو الشرّ، مأخوذ من قولك جدلت الحبل إذا أشدّدت قفله."<sup>2</sup>

وانطلاقاً مما قلناه، يمكن أن نخلص بالقول أنه بالرغم من وجود اختلافات بين المصطلحين (الجدل والحجاج) إلاّ أنّه يمكن الاتفاق على أنهما نوع من المخاصمة والمنازعة من أجل إثبات رأي وإبطال رأي آخر.

<sup>1</sup>: إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 176.

<sup>2</sup>: محمد التومي، الجدل في القرآن، شركة الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 9

## 2-2 الحجاج والبرهان:

عادة ما يتم الخلط بين مفهومي الحجاج والبرهان حتى نجزم أنهما وجهان لعملة واحدة، خاصة إذا انطلقنا من تعريف ابن منظور للحجاج حيث قال: الحجة هي البرهان.

يقول الزمخشري عن البرهان في كتابه أساس البلاغة تحت مادة (ب، ر، هـ): بره، أقمت عنده برهة من الدهر. وأبره فلان، جاء بالبرهان، وبرهن مؤد، والبرهان بيان الحجة وإيضاحها... وهو من البرهرة وهي البيضاء من الجواري".<sup>1</sup> أما ابن منظور فيرى أنّ "النون في البرهان ليست أصلية عند الليث، أما قوله برهن فلان إذ جاء بالبرهان، فهو مؤد والصواب أن يقال أبره فلان إذا جاء بالبرهان".<sup>2</sup>

يظهر من خلال هذين التعريفين أن مصطلح البرهان مؤد وغير متأصل في تراثنا بخلاف مصطلح الحجاج الذي نجده متوغلا منذ الأزل.

أما في موسوعة لالاند، فنجد مصطلح برهان Démonstration "يتمثل في استنتاج يهدف إلى إثبات نتيجة استنادا إلى مقدمات معترف بها أو مسلم بها على أنها صحيحة".<sup>3</sup> فهو إذن تبيان على صحة نتائج معينة انطلاقا من مقدمات سليمة و متوافق عليها.

أما "حميد اعبيدة" فيعرفه على أنه: "مجموعة من الحجج توضع لإقناع شخص ما، ولإثبات أو إبراز شيء ما، وهكذا يبني سلسلة أو متوالية من القضايا المرتبطة فيما بينها، والتي تنتهي إلى نتيجة،<sup>4</sup> ويظهر من تعريف الأستاذ "اعبيدة" أنه قد ساوى بين الحجاج والبرهان من منطلق أنّ هذا الأخير هو مجموعة من الحجج.

<sup>1</sup>: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة/ بره

<sup>2</sup>: ابن منظور، لسان العرب، مادة/ بره

<sup>3</sup>: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، م 1 A-6، ط2، 2001، ص260

<sup>4</sup>: حميد اعبيدة، الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن،

أما رشيد الرازي في مقاله "الحجاج والبرهان"، فقد صاغ لنا مجموعة من الفوارق بين المصطلحين يمكن أن نلخصها فيما يلي:<sup>1</sup>

- في الاستدلال البرهاني يكفي إيراد دليل لتكون النتيجة مثبتة أو منفية، بخلاف الاستدلال الحجاجي الذي يكون فيه عدد الحجج غير محدّد، فقد يكتفي بحجة، كما قد يستلزم حججا عديدة.
- يتميز البرهان باستقلاله التام عن الذات الإنسانية وما يتعلق بها بخلاف الحجاج الذي لا معنى له دون استحضار سياق تداوله الإنساني.
- يتميز الخطاب الحجاجي بإمكانية وروده في صورة ضمنية عكس البرهان الذي يجب التصريح فيه بكل مكوّناته.

وفي ضوء هذه الفروقات يتضح لنا أن الحجاج مختلف عن البرهان حيث أن مجال هذا الأخير هو اليقينيّات، ومساره عقلي محض يؤدي إلى نتيجة ولا علاقة له بالشخص والأيام والأزمات، على خلاف الحجاج الذي مجاله الرأي وإذعان المتلقي،<sup>2</sup> فلا يمكن إذا التسوية بين المصطلحين في ظل كل هذه الاختلافات.

## 2-3 الحجاج والمناظرة:

جاء في لسان العرب: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه، والتناظر: التراوح في الأمر، وناظرت فلانا، صرت نظيرا له في المخاطبة.<sup>3</sup>

أما في المعجم الوسيط: نظر إلى الشيء نظراً ونظراً: أبصره وتأمّله بعينه فيه تدبر وفكر.

(ناظر) فلانا: صار نظيرا له، باحثه في الحاجة

<sup>1</sup>: ينظر: رشيد الرازي: الحجاج والبرهان، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص 187-192.

<sup>2</sup>: سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2012، ص 51.

<sup>3</sup>: ابن منظور: لسان العرب، م5، ص 217-219.

(تناظر) القوم في الأمر: تجادلوا وتراوضوا

ومنه المناظر المجادل والمجاج.<sup>1</sup>

نلاحظ أن المفهوم اللغوي للمناظرة يدور حول معنى المباحثة والمراورة في الكلام أي بمعنى المجادلة والمحاجة، كونها قائمة على تبادل الكلام بين طرفين يسعى كل طرف لإقناع الطرف الآخر.

أما اصطلاحاً فيطلق مصطلح المناظرة على أحد أشكال الجدل الفكري العربي القديم المعتمد على الخطاب الشفوي، والذي يتناول مواضيع غيبية متعلقة بالمعتقدات، التي يحاول أنصار المذاهب المختلفة الدفاع عنها ودحض حجج مخالفيهم.<sup>2</sup>

يرى مختار الفجاري أن ما يقابل مصطلح المناظرة في اللاتينية هي كلمة Disputation، التي هي دليل وشكل من أشكال المعرفة وتحقيقها يتم من خلال المواجهة بين متبارين يعتمدان سلاح اللفظ ومنهج الخطابة والاستدلال القائم على سلطة النص المقدس<sup>3</sup>، وهذا يعني أن كلا المتناظرين يعتمدان قوة الكلام كسلاح للوصول إلى الهدف المراد.

أما عبد الرحمن حسين الميداني فيعرف المناظرة على أنها "المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه مع رغبته الصادقة بظهور الحق والإعتراف به لدى ظهوره".<sup>4</sup>

فالمناظرة وفقاً لهذا التعريف هي حوار بين طرفين، قائم أساساً على مخالفة في الآراء، ويسعى لإظهار الرأي الصواب من خطئه، وتقريباً نفس المفهوم نجده عند "جبور عبد النور" في معجمه الأدبي حيث أن المناظرة في رأيه هي "نوع من المحاضرة يشترك فيها اثنان أو أكثر، ويتخذ كل

<sup>1</sup>: إبراهيم أنيس وزملاؤه، المهجم الوسيط، م2، ط2، دار المعارف، مصر، 1973، ص 932.

<sup>2</sup>: ينظر: مختار الفجاري: الفكر العربي الإسلامي، عالم الكتب الحديث، ط1، تونس، 2009، ص 46.

<sup>3</sup>: ينظر: م.ن، ص 72.

<sup>4</sup>: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص 373.

موقفاً معيناً يدافع عنه بالأدلة والبراهين، ويحاول قدر استطاعته ومهارته تحقيق أمرين واضحين: تأييد رأيه وتخطئة رأي الفريق الآخر،<sup>1</sup> "أعلى المناظر إذن أن يتكئ على الأدلة، التي بها سيصل إلى إثبات صحة رأيه وتخطئة رأي الطرف المواجه له.

أما "طه عبد الرحمن فيعرفها" أنها النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها"<sup>2</sup>

ويضيف في موضع آخر: "كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجهة يسمى مناظرة."<sup>3</sup>

فكل مقابلة بين طرفين غرضها إظهار الصواب هي مناظرة بغض النظر عن سماتها وخصوصياتها، وبموجب هذا الكلام فإنه يساوي إذن بين المناظرة والجدل والحجاج، على أساس أن كل هذه الأنواع هي شكل من أشكال المقابلة.

ترتبط المناظرة بمجموعة من الأخلاقيات التي يجب أن يتسم بها المتناظران ولقد أوردها "طه عبد الرحمن" في كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، تحت تسمية "أخلاقيات المناظرة" وهي:

- أن يكون المتناظران متقاربين مكانة ومعرفة.
- أن يهمل المناظر خصمه حتى يستوفي مسألته، كي لا يفسد عليه توارد أفكاره، وحتى يفهم مراده من كلامه، كي لا يقوله ما لم يقل.
- أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول أو الفعل بغية إضعافه عن القيام بحجته.
- أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق والاعتراف به حتى لا يتباهى به إذا ظهر على يده، ولا يعاند فيه إذا ظهر على يد خصمه.

<sup>1</sup>: جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1984، ص 266-267.

<sup>2</sup>: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 46.

<sup>3</sup>: المرجع نفسه، ص 81.

- أن يتجنب المناظر المحاورّة مع من ليس مذهبه إلا المضادة، لأنه من كان هذا مسلكه لا ينفع معه الإقناع بالحجة.<sup>1</sup>

نلاحظ أن المناظرة تقوم أساساً على طرفين هامين، هما المدّعي، والمعارض، المطالبان بصورة حتمية بالالتزام بقواعد وآداب المناظرة، وإن أخلّ بأي عنصر منهما تفشل المناظرة ولا يستفاد منها لأن هدفها في الأصل هو تعاون الفريقين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها بطريقة تجنب تحول المناظرة إلى ممارسة أو مشاحنات أنانية.<sup>2</sup>

## 2-4 الحجاج والحوار (المحاورة، التحوار):

نجد في لسان العرب تحت مادة (ح، و، ر) ما يلي:

الحوار: الجواب، يقال علمته فما ردّ إليّ حواراً أو تحويراً أي جواباً وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.<sup>3</sup>

أما في قاموس Le petit Larousse، فالحوار "عبارة عن مناقشة وتبادل للآراء بين شخصين أو أكثر".<sup>4</sup>

ومن خلال التعريفين اللغويين يتبين لنا أنّ الحوار هو كلام يجمع بين طرفين أو أكثر يتبادلون من خلاله الآراء ويتناقشون فيه وجهات النظر.

وهنا يلتقي مفهوم الحجاج بمفهوم الحوار؛ حيث أن كلاً من المحاور والمحاجج يسعى إلى الإدلاء برأيه ومحاولة تثبيته وإقناع الطرف الآخر بصحته وصوابه، وفي المقابل يملك المخاطب كل الحرية في القبول أو الرفض.

<sup>1</sup>: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 74-75.

<sup>2</sup>: ينظر: عبد الرحمن حنبركة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص 363.

<sup>3</sup>: تبين منظور: لسان العرب، م2، مادة (ح، و، ر)، ص 1043.

<sup>4</sup>: Le petit Larousse, p319.

فالحوار إذن يلتقي مع الحجاج في خاصية الإقناع، فكلاهما وسيلة تتشد الهدف نفسه.

وللحوار مراحل صاغها الأستاذ حسان الباهي في كتابه "الحوار ومنهجية التفكير النقدي" والمتمثلة في:<sup>1</sup>

1- مرحلة الإفتتاح أو البدء: وفيها يقوم المحاور بتنبيه الطرف الآخر، والإعلان عن مخططه إلى جانب تحديد لقواعد فن قيادة الحوار وطبيعة التعامل معه، فهي إذن بمثابة مرحلة تمهيدية للشروع في الحوار.

2- مرحلة المواجهة: وفيها يتم عرض الأحداث والوقائع، وكذا التساؤل الذي يجب أن يبنى على الوضوح في المقاصد من أجل أن يعود الحوار بالنفع العام.

3- مرحلة التذليل وإقامة الحجة: تسمى كذلك بمرحلة المدافعة أين يتم تقديم الحجج والأدلة بطريقة واضحة وجديّة حتى يتسم الحوار بالاتساق وبيتعد عن التناقض.

4- مرحلة الختم والإغلاق: يجب أن يحقق الحوار في النهاية رضا الأطراف المتحاورين، الأمر الذي يدّل على اتفاقهم على النتائج المتوصل إليها.

ويمكن أن نستنتج مما سبق أنّ الحوار مفاعلة بين طرفين أو أكثر مقيدة بمجموعة من الضوابط التي يفترض على المتحاورين الالتزام بها من أجل ضمان سير سليم لها، وهو يمثل أحد أوجه الحجاج، فلا يمكن الحديث عن حوار دون حجاج، أو الأصح أن نقول أن في الحوار يتجذر الحجاج كممارسة عفوية يقوم بها الإنسان في حياته اليومية من أجل تحقيق التواصل مع الغير.

<sup>1</sup>: ينظر: حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2004، ص 42-43.

# الفصل : الثاني

## النظرية الحجاجية في اللغة

1- المنطلقات الأساس للحجاج اللغوي:

1-1 نظرية أفعال الكلام.

2-1 التداولية المدمجة.

2- السلم الحجاجي.

3- ظاهرة الروابط الحجاجية:

1-3 الروابط المدرجة للحجج.

2-3 الروابط المدرجة للنتائج.

3-3 روابط التعارض.

## تمهيد:

شهدت الدراسات اللسانية منذ بداية القرن العشرين تغييراً ملحوظاً في مبادئها وأدواتها الإجرائية، وهذا نظراً لانفتاحها على علوم معرفية متعدّدة ذات مناهج وتوجّهات جديدة، ممّا ساهم في ظهور توجه جديد في الدرس الحجاجي وضع أسسه كلّ من "اوزفالد ديكرو" وزميله "جان كلود اونسكومير" من خلال مؤلفهما "الحجاج في اللغة" سنة 1973.<sup>1</sup>

ومضمون هذه النظرية "أنّها تهتمّ بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهةً ما تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية".<sup>2</sup>

فلم تعد الأقوال مجرد بنية لغوية حاملة للمعلومات والأخبار موجهة إلى طرف آخر مستمع لغرض التواصل، بل أصبحت تمثل كتلة من الميكانيزمات والآليات التي تمثل قوة حجاجية قادرة على بلوغ الأهداف الإقناعية المرادة.

فالحجاج الذي نادى به "ديكرو" هو حجاج كامن في اللغة دون غيرها، وهو مختلف عن الحجاج عند "بيرلمان" الذي يعتبره "مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية"<sup>3</sup>، إنه في نظر ديكرو مبعوث في الأقوال ولا على الشخص إلا أن يحسن تنظيمها حتى تكون له بمثابة حجج بإمكانها أن تحقق الإقناع.

و على اعتبار أنّ لكلّ توجه فكري مشارب يستقي منها، ففيما تتمثل جذور هذا التحليل اللساني و ما هي منطلقاته الأولية؟

<sup>1</sup> ينظر: عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في النظرية التداولية، ط2، دار الأمل للطباعة والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دت، ص90

<sup>2</sup> أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص14.

<sup>3</sup> سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ص22.

## 1-:- المنطلقات الأساس للحجاج اللغوي:

لقد كان لتصور "دي سوسير" حول اللغة الأثر البالغ في تطور الدراسات اللسانية، حيث أولى لها عناية كبيرة كونها أهم وسيلة للتواصل، الذي يمثل "عملية يجري فيها نقل المعلومات والأخبار بين مرسل ومرسل إليه، حيث يتولى الطرف الأول تزويد الطرف الثاني بمعرفة لم يكن يتوفر عليها من قبل".<sup>1</sup> لقد أكد "سوسير" أن الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة هي التواصل ونقل المعلومات بين طرف مرسل وطرف مستقبل، وهذا ما عارضته نظرية التلّفظ التي وضع أسسها اللساني الفرنسي "إميل بنفستنت"، الذي اهتم بالبنية اللغوية للملفوظات، ويرى أن "اللغة لا يمكن أن تتحقق فعلياً إلا بواسطة التلّفظ وحينئذ تتحول اللغة إلى خطاب يجسد علاقة بين متكلم ومستمع"<sup>2</sup>، فلا خطاب دون ذات متكلمة مرسلتها اللغوية إلى طرف آخر مستمع عن طريق التلّفظ، ولهذا يرى "بنفستنت" أن اللغة ليست رصيماً مستودعاً في أذهان جماعة لغوية وإنما هو نشاط كلامي يتحدّد من خلال نقطتين: التلّفظ، الفعل ذاته الذي ينتج عنه الكلام، والملفوظ كنتيجة لذلك الفعل<sup>3</sup>، فإننتاجنا للملفوظات هو الذي يجسد اللغة كفعالية حيوية متجددة مع كل تلفظ تتفاعل فيه الذات المتلفظة مع الذات المستمعة بصورة تناوبية حتى يتم التأثر والتأثير، وبالتالي يمكن لنا الحديث عن صناعة الأفعال عن طريق الأقوال، ومن هنا سمّي المتكلم في لسانيات التلّفظ بمتكلم صانع الأقوال<sup>4</sup> فالتلّفظ بالأقوال ينتج عنه الاستجابة لها وذلك بالقيام بأفعال تتلاءم وطبيعة ما قيل من أقوال. ومن هذا المنطلق بنى أقطاب المدرسة التحليلية - وخصّ بالذكر "جون اوستين"، و"جون سورل" - توجّههم، وذلك من خلال نظرية أفعال الكلام التي تعتبر أهم موضوعات اللسانيات التداولية.

<sup>1</sup>-رشيد الرازي: الحجاجيات اللسانية عند ديكر و انسكومير، مجلة عالم الفكر، ع1، سبتمبر 2005، ص214

<sup>2</sup>-حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الاردن، 2010، ص38

<sup>3</sup>-ينظر: ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2005، ص77

<sup>4</sup>-م ن، ص88

## 1-1 نظرية أفعال الكلام :

انطلقت أعمال رواد هذه النظرية من تفنيد نظرية "سوسير" في اللغة، ووظيفتها المنحصرة في التواصل، فجاءوا بمفهوم الفعل الكلامي الذي فحواه "كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وهو نشاط مادي نحوي يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية".<sup>1</sup> لقد أكدوا أنّ اللغة ليست مجرد أقوال تُوظف لنقل المعلومات بل هي إنجاز لأفعال في الوقت ذاته وبالتالي، فإنّ وظيفتها لا تقتصر على الإخبار فقط بل تتعداها إلى وظائف أخرى ترتبط أساساً بمقصدية المتكلم وبالسياق الاجتماعي المحيط بها، فتتحدّد وظيفتها انطلاقاً من هذين العنصرين وهكذا فإنّ تعدّد مقصديات المتكلمين والسياقات المرتبطة بها يحيلنا إلى تعدّد وظائف اللغة وتباينها، وهذا يعني أنّ اللغة إنجاز مرتبط بالمجتمع، "إنّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضاً في الوقت نفسه"<sup>2</sup>، فغاية الإنسان من وراء كلامه ليست الاتصال بمحيطه فحسب، وإنّما يستهدف إنجاز أفعال تتغيّر من سلوك الشخص المتواصل معه، ولهذا فإنّ المتكلم لا يصدر أصواتاً فقط من خلال كلامه، ولكنه ينجز بعض الأفعال التي تمثل حججاً من شأنها أن تقنع المتلقي.<sup>3</sup>

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الإقناع وظيفة من وظائف اللغة ؛ التي تقوم على توظيف الأقوال كحجج لتؤثر في متلقيها فتغيّر من سلوكه، وبالتالي، فهي إنجاز للأفعال.

ميّز أوستين في البداية بين نوعين من الأفعال وهما: أفعال خبرية، وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة، وأفعال أدائية تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال لا

<sup>1</sup> مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2008، ص40

<sup>2</sup> خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص89

<sup>3</sup> ينظر: حسين ببولوط: الحجاج في الامتاع والموانسة لأبي حيان التوحيد، منكرة ماجستير في الأدب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2009، ص61 نقلا عن:

Pier Paolo Gigholi : Language and Social context pengning group London , 1<sup>ST</sup> Published, 1972;p.136

توصف بالصدق أو الكذب، وإنما تقدّر بالنجاح أو الفشل.<sup>1</sup> ولما اتّضح له أنّ هذه الملفوظات التقريرية تشكّل بدورها ملفوظات إنجازية<sup>2</sup>، عمد على دراستها وأكد أنّها ليست مجرد ملفوظات واصفة للوقائع في العالم الخارجي، وإنما هي أقوال تتجزأ أفعالاً وتغيّر الواقع، لهذا لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب<sup>3</sup>، فالملفوظات الإخبارية لا تمثل فقط نقلاً للأخبار، بل تسعى لإنجاز أفعال تغيّر الواقع، فلا يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب وإنما تقدّر بنجاحها أو عدمه شأنها شأن الملفوظات الأدائية.

و في آخر مرحلة من مراحل بحثه، توصل "أوستين" إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية:

1- فعل القول (الفعل اللغوي): ويراد به "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"<sup>4</sup>، ففعل القول يشتمل على المستويات اللسانية : المستوى الصوتي ويقابله الفعل الصوتي وهو فعل التلفظ بأصوات تنتمي للغة معينة، والمستوى التركيبي يقابله الفعل التركيبي الذي يؤلف مفردات وفقاً لقواعد لغة معينة، أمّا المستوى الدلالي فيمثله الفعل الدلالي الذي يوظف الأفعال حسب معانٍ وإحالات محدّدة.

2- الفعل المتضمن في القول : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، والتي تسمى وظائفه اللسانية بالقوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك : السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، أمر...

3- الفعل الناتج عن القول: وهو الفعل المتسبّب في ظهور آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد...

<sup>1</sup> ينظر: حجر نورما وحيدة : الاستلزام الحواري في سورة البقرة ، دراسة وصفية تحليلية تداولية، بحث جامعي في قسم اللغة

العربية وآدابها، جامعة مولانا ملك ابراهيم الإسلامية الحكومية، مالانج، 2010، ص25

<sup>2</sup> ينظر: حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص123

<sup>3</sup> ينظر: معاذ بن سليمان النخيل : منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقارنة تداولية، ط1، دار محمد علي

للنشر، القاهرة، 2014، ص38

Austin ; Quand dire c'est faire ; p 109 نقلا عن مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 56

ولنوضح هذا التقسيم، نعرض المثال التالي:

يقول سقراط: استمع يا جورجياس<sup>1</sup>. في هذه الجملة نجد أن الفعل "استمع" بمعناه المعجمي وما يحيل عليه وهو الانصات والانتباه يمثل الفعل اللغوي، وأما فهم الجملة على أنها نصح أو أمر فهو الفعل المتضمن في القول، في حين يمثل اقتناع جورجياس بالاستماع الفعل الناتج عن القول.

يحصي أوستين خمسة أصناف من الأفعال وفقاً لقوتها الإنجازية:

-الحكمية: وتقوم على الإعلان عن حكم، تتعلق بقيمة أو حدث مثال: إخلاء الذمة، واعتباره مثلاً كوعد.

-التمرسية: وتقوم على إصدار قرار لصالح، أو ضد سلسلة أفعال أمر

-العرضية: وتستعمل لعرض مفاهيم، وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع مثل: التأكيد الإنكار أو الاعتراض

-أفعال التكليف: يلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة مثل: القسم، الوعد، التمني

-السلوكيات: ويتعلق الأمر بردود أفعال اتجاه سلوك الآخرين، واتجاه الأحداث المرتبطة بهم مثل الاعتذار<sup>2</sup>

وقد بنى أوستين عمله في تصنيف الأعمال اللغوية على استقراء الأفعال الانشائية من المعجم، بموجب أن الأعمال اللغوية تعبر عنها الأفعال الانشائية، لكنه تبين ضعف هذا التصنيف وعدم سلامته بصورة مطلقة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>: افلاطون:محاورة جورجياس ص41

<sup>2</sup>: ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل:منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، ص41

<sup>3</sup>: ينظر:معاذ بن سليمان:المرجع المذكور، ص43

وفي المقابل قام "سورل" بإعادة صياغة نظرية أفعال الكلام، فعمد إلى تحديد مفهوم الفعل الإنجازي في هذه النظرية ضمن صياغة جديدة للنموذج الأصل عند "أوستين"، حيث ميز بين القوة الإنجازية ومضمون القضية المعدة للتلفظ، وذكر أن العمل القولي يتكون من :

-القوة المقصودة بالقول

-المضمون القضوي الإحالي<sup>1</sup>

ويمكن أن نمثل بالمثل التالي :

قال "كاليكليس": "ألم تقل لي أن البيان تجربة؟"<sup>2</sup>، نلاحظ أن القول هو عبارة عن استفهام مرتبط بالجواب إما بنعم أو لا، وهو ما يمثل القوة المقصودة بالقول، أما المعنى الإحالي فهو ليس الاستفهام ؛ حيث أن كاليكليس لا يريد أن يستفهم إن قال له محاوره أن البيان تجربة أم لا، بل يريد أن يؤكد أن محاوره قد قال له حقا ذلك الكلام.

فالمضمون القضوي إذن مرتبط بالسياق الذي قيل فيه الكلام، في حين ترتبط القوة المقصودة بالقول ببنيته اللغوية .

لقد تمثلت جهود كل من "أوستين" و "سورل" في التأكيد على وجود وظائف أخرى للغة غير وظيفة التواصل ؛و ذلك من خلال إثبات أن الأقوال التي يصدرها المتكلم من خلال كلامه مع طرف آخر مخاطب إنما الغرض منها التأثير في ذلك الشخص لدرجة تجعله يغير من سلوكه، ومن هنا تتراءى لنا القوة الحجاجية التي تتوفر عليها اللغة لغرض الإقناع، الذي يظهر من خلال تحقق تغير سلوك المخاطب.

<sup>1</sup>: ينظر: حسان الباهي :منهجية التفكير النقدي، ص 124

<sup>2</sup>: أفلاطون : محاوره جورجياس، ص 55

## 1-2 التداولية المدمجة: ديكر، وانسكومبر

التداولية المدمجة "هي نظرية دلالية تدمج في الشفرة اللغوية (اللسان بالمعنى السوسوري 1968) مظاهر عملية القول"<sup>1</sup>، تمثلها أعمال كل من "ديكر" و"انسكومبر"، اللذان تأثرا بأبحاث "أوستين" الخاصة بالملفوظات الإنجازية، وبأعمال "بنفنيست" المتعلقة بالخطاب والتلفظ<sup>2</sup>، حيث يرى الباحثان أن "الفعل اللغوي سيشكل مرتكزا للحديث عن النشاط التلفظي ومن ضمنه الحجاج كفعل يقوم به المتكلم، فتعكس آثاره واضحة في الملفوظ الذي ينتجه هذا النشاط"<sup>3</sup>

تبحث التداولية المدمجة في دلالات البنية اللغوية لاستخراج الأشكال اللغوية ذات القيمة التداولية لضبط شروطها الاستعمالية<sup>4</sup>، وعلى هذا فإن التداولية لا توجد إلا مدمجة في الدلالة، ولا يمكن فصل البعد الدلالي عن البعد التداولي، لأن المعنى مرتبط بضرورة بسياق تلفظ معين وبوظائف تخاطبية محددة<sup>5</sup>، فلنتأمل المثال التالي:

يقول "جورجياس" مخاطبا "سقراط": "أليس من السهل سهولة مدهشة يا سقراط أن نستطيع بدون أية دراسة للفنون الأخرى أن نكون بفضل البيان وحده متساويين مع جميع المتخصصين؟"<sup>6</sup> فغرض "جورجياس" من هذا الاستفهام ليس الاستفسار والتساؤل إنما مراده التأكيد عما قاله، فالسياق هو الذي حدد لنا معنى الجملة، و عليه، فإن معاني الكلمات والألفاظ ثابتة والشيء المتغير هو تداولها واستعمالها في سياقات متعددة مما يمنحها معاني متجددة مرتبطة أصلا بالمقام الذي قيلت فيه.

جاك موشر-آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجذوب دط، دار سيناترا، تونس، 2010، ص83

<sup>2</sup>: ينظر: حسان الباهي: منهجية التفكير النقدي، ص133

<sup>3</sup>: رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند ديكر وانسكومبر، ص217

<sup>4</sup>: ينظر: معاذ بن سليمان: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، ص54

<sup>5</sup>: ينظر: عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص96

<sup>6</sup>: أفلاطون: محاوره جورجياس، ص50

إن اللغة ليست وسيلة للإخبار المباشر فحسب بل تحقق أعمالاً لغوية "فاللغة تتضمن بشكل داخلي مجموعة من الإجراءات الخاصة التي تسمح بإقامة تنوع كبير في العلاقات الانسانية... ولا يمكن إذ ذاك أن تكون اللغة وظيفة واحدة هي نقل المعلومات"<sup>1</sup>، فهي لا تقتصر على الإخبار فقط لغرض التواصل، وإنما تتعداه لتحقيق وظيفة يراها رواد التداولية المدمجة على أنها الأهم والأبرز ألا وهي الوظيفة الحجاجية، وبموجب هذا الكلام، فإن الحجاج كامن في اللغة يتمثل في "إنتاج متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج"<sup>2</sup>، فالبنية اللغوية لقول ما تحوي في طياتها وسائل وآليات حجاجية تجعل منه قوة حجاجية يمكن الاعتماد عليها لإيصال الأطروحة المراد إقناع الطرف الآخر بها، وعليه فإن الوسيلة الأنجع - من منظور هذا التيار - للإقناع هي اللغة التي يكمن ويتولد منها الحجاج الذي موضوعه هو "بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها، بوجه قوله وجهة حجاجية ما"<sup>3</sup>.

رفض ديكر و انسكومبر فكرة فصل الدلالة عن التداولية، ذلك أن "مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن"<sup>4</sup>، فالتداولية المدمجة إذن تبحث عن الجوانب التداولية داخل بنية اللغة وتعتبر أن "القيمة الإخبارية للملفوظ قيمة ثانوية بالنظر إلى قيمة الملفوظ الحجاجية"<sup>5</sup>، وعليه، فإن الحجاج كامن في اللغة، وهو "علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة، و لكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية، فلا بد من أن تتوفر في الحجة ق1 شروط محددة حتى تؤدي إلى ق2، لذلك فإن الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطاً بالمحتوى الخبري للأقوال، ولا بمعطيات بلاغية مقامية "

<sup>1</sup>: أبو بكر العزاوي : سلطة الكلام وقوة الكلمات، مجلة المناهل، ع25، الرباط، ماي 2001، ص135

<sup>2</sup>: أبو بكر العزاوي : البنية الحجاجية للخطاب القرآني، سورة الأعلى نموذجاً، مجلة المشكاة، ع19، وجدة، 1994 ص125

<sup>3</sup>: شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، دت، ص352

<sup>4</sup>: المرجع نفسه، ص351

<sup>5</sup>: صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008، ص 23

إذا استوفت الأقوال الشروط المحددة فهذا يعني أن بنياتها اللغوية تحوي قوة حجاجية بغض النظر عن مضمونها والسياقات التي قيلت فيها .

لقد وضع كل من ديكر و انسكومبر مفهوم الإرشادات الذي يعتبر بديلا للتداولية المدمجة والمتمثل في مجموعة من العلامات تقدم لأولئك الذين يسعون إلى تأويل ملفوظ معين، مما يستلزم عليهم البحث داخل الخطاب عن عناصر تساعد على إعادة بناء المعنى وفقا لمقصدية المتكلم<sup>1</sup>، هذه المقصدية التي يتحكم فيها السياق التداولي هي التي يبحث عنها المخاطب داخل خطاب المتكلم، وذلك برصد ما وظفه من مؤشرات وعناصر لغوية.

وتنقسم الإرشادات إلى نوعين:

-إرشادات تلفظية: تتحدد مهمتها في تقديم إرشادات ومعلومات تخص الطريقة التي توحى بها دلالة الجملة إلى عملية التلطف

-إرشادات حجية: ترتبط بالعوامل والروابط الحجاجية تقدم إرشادات وتوجيهات تخص الوجهة الحجية للجملة<sup>2</sup>

ميز ديكر و بين نوعين من الأفعال : فعل المحاجة، وفعل الاستدلال؛ حيث أن الاستدلال يكون من خلال وجود علاقة بين الحجة (ق1) والنتيجة ق(2)، أما الفعل الحجاجي فيتمثل في حمل الطرف المستقبل على فهم (ق2) انطلاقا من (ق1)<sup>3</sup>

ومن هنا يستنتج ديكر و أن الحجاج والاستدلال شيان مختلفان؛ فالحجاج يقع على مستوى الخطاب أما الاستدلال فهو يرتبط بالمعتقدات المتعلقة بالواقع<sup>4</sup>، إذن الحجاج متمركز في اللغة التي تشكل الخطاب، في حين يرتبط الاستدلال بالأمور البديهية والقضايا الكونية، يقول شكري المبخوث

<sup>1</sup>: حسان الباهي : منهجية التفكير النقدي، ص134

<sup>2</sup>: حسان الباهي: منهجية التفكير النقدي، ص135

<sup>3</sup>: ينظر: شكري المبخوث، الحجاج في اللغة، ص361

<sup>4</sup>: ينظر: م ن، ص362

في هذا الصدد: "إن عمل المحاجة باعتباره علاقة بين حجة ونتيجة مختلف عن عمل الاستدلال؛ فالمحاجة علاقة بين عمليين لغويين لا بين قضيتين وهذه الخاصية هي التي تجعلها مرتبطة باللغة الطبيعية"<sup>1</sup>، فتمركز الحجاج في الخطاب هو ما جعله مرتبطاً أساساً باللغة الطبيعية وبنياتها، وارتباط الاستدلال بالقضايا البديهية هو ما جعله مقترناً بالواقع والكون.

فرق ديكرود بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي، والمعنى الفني والاصطلاحي، وموضوع التداولية المدمجة هو الحجاج بالمعنى الفني:

1- الحجاج بالمعنى العادي : ويعني عرض الحجج وتقديمها بهدف التأثير في السامع الذي يجب مراعاة طبيعته، حيث أن نجاح الخطاب متوقف على مدى ملاءمته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية الموظفة لإقناعه.

2- الحجاج بالمعنى الفني : يدل هذا النوع من الحجاج على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب، والتي تكون قابلة للقياس بالدرجات في السلم الحجاجي<sup>2</sup>، ومن هنا يتراءى لنا مفهوم السلم الحجاجي كعنصر هام في العملية الحجاجية الكامنة في اللغة .

## 2- السلم الحجاجي :

يمثل السلم الحجاجي مجموعة من الأقوال التي تقوم بينها علاقة تراتبية معينة<sup>3</sup>، ويتسم بالسمتين الآتيتين:

- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة إلى (ن) النتيجة.

<sup>1</sup>: شكري المبخوث، الحجاج في اللغة، ص 363

<sup>2</sup>: ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص 21

<sup>3</sup>: ينظر: حسان الباهي: منهجية التفكير النقدي، ص 137

-إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس غير صحيح<sup>1</sup>.

ن: النتيجة

"ب" و"ج" و"د" حجج تخدم النتيجة "ن"، فهو تمثيل لفئة حجاجية واحدة تتضمن حججا مرتبة من الأضعف إلى الأقوى، ولنوضح نأخذ المثال التالي:

قال "جورجياس" محاورا "سقراط": "إنني أعني القدرة على إقناع المرء بواسطة الحديث القضاة في محاكمهم، والشيوخ في مجلسهم، وفي الجمعية الشعبية"<sup>2</sup>.

نجد "جورجياس" في هذا المثال يحاول أن يقنع "سقراط" أن البيان يمكن له أن يقنع الجميع وقد وُظف لهذا حججا استهلها بالحجة الأضعف وصولا إلى الأقوى.

و يمكن أن نرتب هذه الحجج في السلم الحجاجي على النحو التالي:

ن: قوة البيان  
-إقناع الشعب  
-إقناع الشيوخ  
-إقناع القضاة

لقد بدأ "جورجياس" بالحجة الأضعف والمتمثلة في إمكانية إقناع القضاة في محاكمهم، لأنهم الأسهل على الإقناع منه إقناع الشيوخ أو إقناع الشعب؛ لأن القضاة يكتفون بأدلة أو اعترافات شهود حتى يقتنعوا، بينما الشعب يصعب إقناعه لأنه يمثل فئة بشرية كبيرة تختلف فيها الرؤى

<sup>1</sup>: ينظر أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، ص61

<sup>2</sup>: أفلاطون: محاورة جورجياس، ص 40

والمستويات الفكرية، ولهذا أدرجها "جورجياس" كآخر حجة كونها الأقوى من حيث التدليل على مدى قدرة البيان على الإقناع.

و يمكن أن نأخذ نموذجا آخر:

قال كاليكليس (وهو أحد تلاميذ السوفسطائي جورجياس) "... وإنك ( أي سقراط) تلقي على مزاجك الكريم قناعا صبيانيا بحيث أنك لن تتطرق في المناقشات القانونية بقول عدل، بل لن تدرك الرأي المحتمل والمقنع، كما أنك لن تضع في خدمة الغير مشروعاً نبيلاً"<sup>1</sup>، نجد في هذا المثال أن المحاور "كاليكليس" أراد أن يقلل من شأن "سقراط" وفلسفته، حيث وصفه بأنه يضع قناعاً صبيانياً، وليبرر ذلك أدرج مجموعة من الحجج يمكن أن نمثلها في السلم الحجاجي على النحو التالي :

- ن: صبيانية سقراط
- عدم خدمة الناس بمشروع  
نبيل
- عدم إدراك الرأي المقنع
- عدم النطق بقول عدل

وظف "كاليكليس" هذه الحجج لخدمة نتيجة ضمنية مفادها أن فلسفة سقراط لا تجد نفعاً فهو كصبي يقول كلاماً غير مفيد، وقد انطلق من الحجة الأضعف ألا وهي عدم تمكن "سقراط" من قول كلام عادل في المناقشات القانونية، وهذا يدل على نقص اتزانه وضعف تفكيره، ثم انتقل إلى الحجة الموالية وهي استحالة إدراك "سقراط" للرأي المقنع أي أنه غير قادر على تحليل الأقوال ومعرفة صوابها من خطئها، ثم أتى "كاليكليس" بحجة أخيرة وهي الأقوى والمتمثلة في عدم خدمة "سقراط" للغير بإقامة مشروع نبيل يفيد الناس، وبالتالي لا يمكن له أن يكون فيلسوفاً حقيقياً .

<sup>1</sup>: افلاطون : محاوره جورجياس، ص91

**2-1 قوانين السلم الحجاجي :**

يضبط السلم الحجاجي قوانين ثلاث هي :

1-قانون الخفض: مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها<sup>1</sup>

2-قانون النفي : إذا كان قول ما "أ" مستخدما من طرف متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (أي ~أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة<sup>2</sup>.

3-قانون القلب : يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية<sup>3</sup>، أو بعبارة أخرى متى كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، كان نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض هذا المدلول<sup>4</sup>.

**3- الروابط الحجاجية:**

تعتبر ظاهرة الروابط الحجاجية من أبرز ما اهتم به "ديكرو" في نظريته الحجاجية، كونها من أهم الآليات اللغوية التي تلعب دورا فعالا في عملية الحجاج الكامن في اللغة، فنسمي رابطا حجاجيا "كل ما يربط بين وحدتين دلالييتين (أو أكثر) في إطار استراتيجية حجاجية واحدة"<sup>5</sup>، ولقد مثلت جزءا كبيرا من مدونتنا، وهذا نظرا لنمطها الحوارية القائم على ثنائية السؤال والجواب، الذي يستوجب الربط بين الوحدات الدلالية حتى يتم الاتساق المساهم في إنجاح العملية الحجاجية، ونجد أن "العزاوي" قد ميز بين أنماط عديدة من الروابط نذكر منها:

-الروابط المدرجة للحجج منها:(حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...)

<sup>1</sup>-ينظر :طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص 277

<sup>2</sup>-ينظر : أبو بكر العزاوي :الحجاج في اللغة، ص 60

<sup>3</sup>-ينظر:ن، ص ن

<sup>4</sup>-ينظر: طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص 278

<sup>5</sup>-أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج، ص 29

-الروابط المدرجة للنتائج: وتضم (إذن، كي، لهذا، وبالتالي...)

-روابط التعارض الحجاجي: ((لكن، بل، مع ذلك..))<sup>1</sup>

و سنتعرض إلى هذه الأنواع بالتفصيل المصاحب للأمثلة.

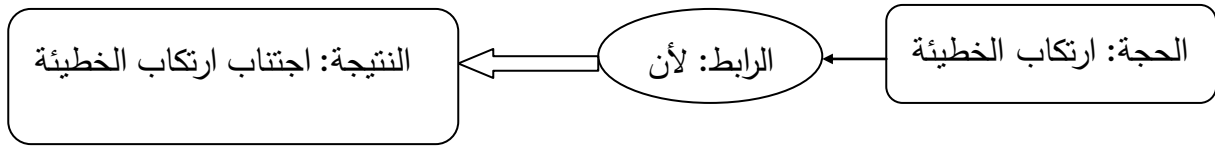
### 3-1-1: الروابط المدرجة للحجج:

وهي روابط توظف لإيراد الحجج وربطها بما سبق حتى تؤدي وظيفتها الحجاجية، ومن بينها

أ-الرابطة الحجاجي "لأن":

يستعمل الرابطة الحجاجي "لأن" للتبرير والتعليل، ونجد أنه وظيف بكثرة في المدونة حيث يسعى كل محاور تبرير أقواله من الوصول إلى الإقناع.

يقول "سقراط": "يجب أن نجتنب ارتكاب الخطيئة، لأن ذلك يكون شرا"<sup>2</sup>



جاء الرابطة "لأن" بعد النتيجة مباشرة لتبريرها، وذلك من خلال إيراد الحجة.

و يمكن أن نأخذ نموذجا آخر:

قال "سقراط": "أسمي هذا التطبيق (أي البيان) بالتملق...لأنه يتجه إلى اللذة"<sup>3</sup>

النتيجة: تسمية البيان بالتملق

الرابطة الحجاجي : لأن

<sup>1</sup> -ينظر: العزاوي: اللغة والحجاج، ص 30

<sup>2</sup>: محاوره جورجياس، ص 83

<sup>3</sup>: م ن، ص 57



## 3-1-2: الروابط المدرجة للنتائج:

و هي روابط حجاجية غرضها إدراج النتائج، وأهمها:

## أ-الرابط الحجاجي "كي":

يعتبر الرابط "كي" من الروابط التي تجمع بين النتيجة والحجة، وذلك بإيراد النتيجة، ويمكن أن نمثل بما يلي :

يقول "جورجياس" : "...إذ الحق أن هؤلاء المدربين نقلوا فنههم إلى تلاميذهم كي يستعملوه استعمالا عادلا"<sup>1</sup>.

النتيجة : قيام المدربين بنقل فنههم إلى تلاميذهم

الرابط الحجاجي : كي

الحجة: استعمال ذلك الفن استعمالا عادلا

لقد برر جورجياس تعليم أولئك المدربين فن البيان لتلاميذهم بحجة قيام التلاميذ باستعمال ذلك الفن استعمالا عادلا، ووظف الرابط الحجاجي "كي" للربط بين النتيجة والحجة.

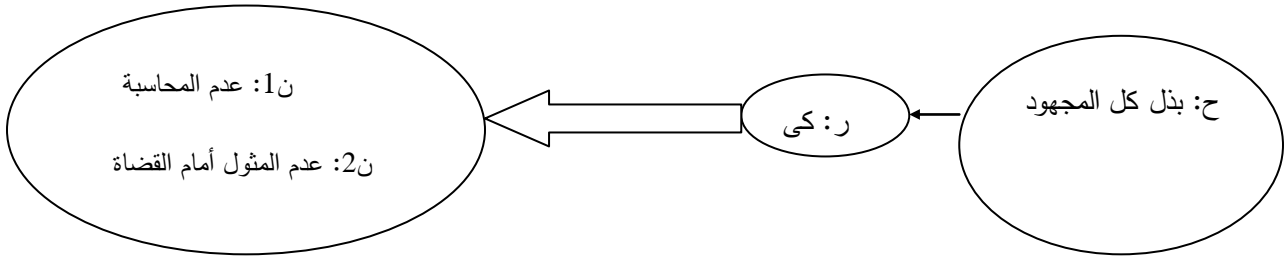
لنأخذ مثالا آخر:

يقول "سقراط": "ينبغي أن يبذل كل جهده من قول وفعل كي لا يلقى حسابه وكي لا يمثل أمام القضاة"<sup>2</sup>.

يشمل هذا المثال على حجة ونتيجتين:

<sup>1</sup>: جورجياس، ص 47

<sup>2</sup>: م ن، ص 74



لقد وظف "سقراط" الرابط الحجاجي "كي" مرتين، وذلك من أجل إيراد نتيجتين تبررهما حجة واحدة، فبذل المجهود قولاً وفعلاً يبعد صاحبه عن المحاسبة وعن الامتثال للقضاة.

### ج- الرابط الحجاجي : بالتالي

يستعمل لإدراج النتائج وربطها بالحجج، يمكن أن نمثل بالمثال التالي:

قال "سقراط": "إنه (أي البيان) ليس بفن، بل هو تجربة، لأنه ليس لديه ما يقدم من أشياء سبب قائم على طبيعة الأشياء، وبالتالي لا يستطيع أن يربط بينها وبين عللها"<sup>1</sup>

الحجة 1: البيان هو تجربة

الحجة 2: لا يملك علل الأشياء

الرابط: بالتالي

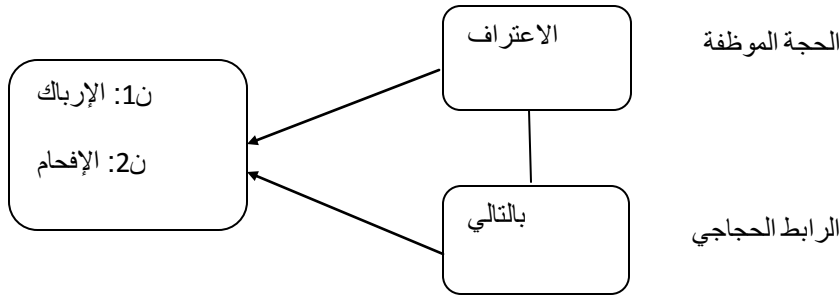
النتيجة: لا يمكن للبيان أن يربط بين الأشياء وعللها.

نعرض مثالا آخر:

قال "كاليكليس" محاورا "سقراط" : "... لقد استطعت بالتالي بعد ذلك الاعتراف أن تربكه بأقوالك وأن تفحمه"<sup>2</sup>

<sup>1</sup>: محاوره جورجياس ، ص 58

<sup>2</sup>: م ن، ص 87



لقد أدرج الرابط "بالتالي" نتيجتين انطلاقاً من حجة واحدة، ولقد تم الجمع بينهما عن طريق واو العطف.

#### 3-1-4 روابط التعارض الحجاجي:

يوظف هذا النوع من الروابط لنفي قول سبق وإثبات القول الذي يليه، أهمها "لكن"، "بل"

##### أ- الرابط الحجاجي "لكن":

يعتبر الرابط "لكن" من الروابط الأكثر تداولاً واستعمالاً، وهو حرف عطف للاستدراك يتوسط قولين متغايرين نفيًا أو إيجاباً فيستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي<sup>1</sup>، ويمكن أن نمثل له بالمثل التالي :

قال "سقراط" : "... لا يهتم (أي الفن) إطلاقاً بالخير، ولكنه بواسطة جاذبية اللذة ينصب فخاً للحماقة التي يخدمها ويفوز بالاعتبار"<sup>2</sup>.

لقد تدارك سقراط النفي بالإيجاب عن طريق توظيف حرف الاستدراك "لكن"؛ فمفاد الجملة أن الفن لا ينطوي على الخير، لكن لذته هي التي تمثل الخير.

<sup>1</sup>: ينظر: الزمخشري: المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، د س، ص 300

<sup>2</sup>: جورجياس: ص 57

و لقد صنف "ديكرو" لكن إلى صنفين : لكن الخاصة بالدحض، ولكن الحجاجية، إلا أنه اهتم بالنوع الثاني والتي مفادها:

إن التلفظ بأقوال من نمط "أ" لكن "ب" يستلزم أمرين اثنين:

1- أن المتكلم يقدم "أ" و"ب" باعتبارهما حجتيين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "ن"، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة، أي لا "ن".

2- أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته<sup>1</sup>

و لنبين نعرض المثال التالي :

يقول "سقراط": "إن ارتكاب الظلم ليس إلا ثاني الكبائر، ولكن الاستمرار فيه دون تكفير هو أكبر الشرور"<sup>2</sup>

وظفت "لكن" في هذا المثال لإدراج القول الذي يليها كحجة أقوى من الحجة التي تسبقها؛ فالاستمرار في ارتكاب الظلم دون تكفير أكبر الشرور من ارتكاب الظلم.

و لنأخذ مثالا آخر :

يقول "سقراط": "...فإن أولئك الذين يحاولون ألا يقدموا حسابا للعدالة يمكن أن يكونوا أيضا أناسا يرون ما تنطوي عليه العدالة من ألم لكنهم لا يرون ما بها من نفع"<sup>3</sup>

نجد في هذا المثال تعارضا حجاجيا بين ما يسبق الرابط "لكن" وما يليه ؛ حيث أن القسم الأول من القول هو حجة تخدم نتيجة مفادها أن أولئك الناس مدركون لما يصاحب العدالة من ألم، أما الجزء الثاني من القول فمضمونه هو أن أولئك الناس ليسوا على دراية بما تنطوي عليه العدالة من

<sup>1</sup>: أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج، ص58

<sup>2</sup>: جورجياس، ص83

<sup>3</sup>: م ن، ص 82

نفع، فهناك تعرض بين النتيجة التي أسفرت عنها الحجة الأولى وبين التي أدت إليها الحجة الثانية، وهذا بتوظيف "لكن".

ب - الرابط الحجاجي "بل":

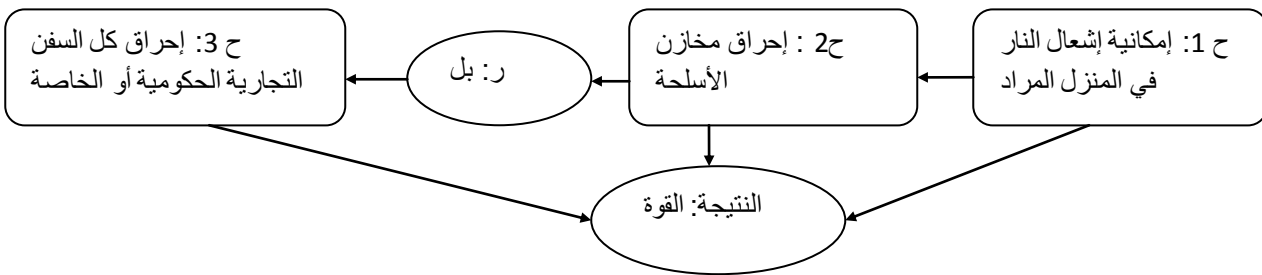
ترد بعد الرابط "بل" حجة تعارض نتيجتها نتيجة الحجة الأولى، أو تكون الحجة التي تلي هذا الرابط أقوى من الحجة التي تسبقه، ويمكن أن نأخذ مثالا للتوضيح أكثر.

قال "سقراط": "... يكون للمرء عندما يفعل ما يشاء ويجد فيه مصلحته قوة كبيرة وذلك خير بل وهو فيما يبدو قوة كبيرة"<sup>1</sup>

في هذا المثال نجد أن الحجة التي تلي الرابط "بل" أقوى من الحجة التي سبقته؛ فالمرء عندما يفعل ما يشاء يمثل له ذلك الخير، وهذه هي الحجة الأولى، أما الثانية فتتمثل في تجاوز ذلك الخير إلى الإحساس بالقوة الكبيرة، وهذه هي الحجة الأقوى.

و لنأخذ مثالا آخر:

قال "سقراط": "... ليس من شخص لا يمكنه أن يكون وفقا لذلك بالغ القوة إذ أنك تستطيع أيضا أن تشعل النار في المنزل الذي تريد، وأن تحرق مخازن أسلحة الأثينيين الحربية، بل وكل السفن التجارية الحكومية أو الخاصة"<sup>2</sup>



<sup>1</sup>: محاورة جورجياس ، ص66

<sup>2</sup>: م.ن، ص65

نلاحظ أن النموذج يحوي ثلاث حجج تخدم نتيجة ضمنية واحدة هي القوة، ونجد أن الحجة التي تلت الرابط "بل" هي أقوى الحجج للتدليل على تلك النتيجة ؛ فالتمكن من إحراق السفن التجارية هو أقوى دليل على القوة منه إحراق المنازل أو إحراق مخازن الأسلحة، ومن هنا يتجلى لنا دور الرابط الحجاجي "بل" في ترتيب الحجج بحسب درجة قوتها على التدليل.

يمكن أن نخلص بالقول أن رواد الحجاج اللغوي قد أعلوا من شأن اللغة بجعلها أنجع وسيلة لتحقيق الإقناع بعد أن كانت مجرد وسيلة للتواصل ونقل الأخبار ها هي الآن أصبحت تمثل استراتيجية هامة لتحقيق الأهداف الحجاجية وبصورة فعالة.

خاتمة

لقد بينت الدراسة مجموعة من النتائج التي يمكن أن نجملها فيما يلي:

- إن الحجاج ليس وليد العصر، وإنما تمتد جذوره إلى الحضارة اليونانية أين كان يتمظهر في الخطابة السفسطائية والجدل الأفلاطوني والأرسطي.

- بعد أن كان الحجاج مجرد مصطلح يوظف بطريقة عفوية، أصبح بعد ذلك بفضل جهود اللسانيين المحدثين نظرية قائمة بذاتها لها معالمها ومرتكزاتها.

- رغم الالتباس الموجود بين الحجاج وبين المصطلحات الأخرى (جدل، برهان، مناظرة، محاورة) إلا أنه يمكن أن نتفق على أنها تشترك في كونها مفاعلة ومنازعة بين طرفين تسعى لإثبات رأي وإبطال رأي آخر عن طريق توظيف الحجج.

- تمثل نظرية الحجاج في اللغة امتدادا لأعمال كل من "جون اوستين" و "جون سيرل" حول الأفعال الكلامية، التي بموجبها تمثل الأقوال أفعالا في نفس الوقت، وهذا ما نجده في الحجاج اللغوي الذي تزعمه "أوزفالد ديكرو"، حيث يقنع المتكلم المستمع من خلال اللغة فيجعله يتفاعل معه.

- مثلت محاورة جورجياس مدونة زاخرة بالروابط المؤدية للوظيفة الحجاجية، كما كان للسلام الحجاجية نصيب وافر منها، وهذا لنمطها الحوارية أين يسعى كل طرف من الأطراف المتحاورة إلى الإتيان بأكثر عدد ممكن من الحجج التي تمكنه من إقناع الطرف المتلقي.

مألف

## ملحق:

تمثل محاورة جورجياس إحدى المحاورات التي ألفها أفلاطون ويرجح أنها كتبت فيما بين عامي 390 395 ق.م، والتي دارت بين "جورجياس" الذي يعتبر واحداً من أشهر السوفسطائيين القدامى ومن أعلاهم مكانة في الزمن القديم، وليس أدل على من هذه المحاورة التي بين أيدينا الحاملة لإسمه، وقد عُرف بقدرته العالية على الجدل والمناورة، وتمكُّنه من الفنون الخطابية، اهتم بالفلسفة والخطابة فترك عدداً من الخطب المتضمنة لمختلف المهارات الخطابية التي من شأنها أن تعلم تلامذته بعد ذلك فن الخطابة.<sup>1</sup>

أما الطرف الثاني من المحاورة فهو الفيلسوف اليوناني "سقراط"، الذي يعد رائد الفلسفة الأرسقراطية الراض للنظام الديمقراطي الذي تسبب في انحلال المبادئ والأخلاق التي كان ينادي بها خاصة مع ظهور جماعة السوفسطائيين الذين جاؤوا بمنهج مضلل للشعب اليوناني ولهذا كرس سقراط حياته على معاداتهم من خلال إقامة محاورات معهم ترمي أساساً إلى دحضهم ونقد أفكارهم، وقد اعتمد في ذلك على منهج السخرية القائم على طرح الأسئلة مدعياً فيها السذاجة وعدم المعرفة وكذا على المنهج الاستقرائي، وكل هذا كان من أجل كشف الأعياب الوفسطائيين وإثبات أنهم عن منأى من المعرفة واليقين.<sup>2</sup>

و قد شارك في المحاورة أيضاً فيلسوفان سوفسطائيان هما: كاليكيس، وبولوس وهما من تلامذة جورجياس، كان دورهما متمثلاً في ردع أسئلة سقراط المركبة والمسببة لسمعة الخطابة السوفسطائية.

تنقسم المحاورة إلى ثلاث محاورات فرعية، تدور الأولى بين سقراط وجورجياس حول تعريف جورجياس للبلاغة وخصائصها.

<sup>1</sup> : ينظر: مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج 2، دار قباء للطباعة والنشر، دط، مصر، 2000.

<sup>2</sup> : ينظر: ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الأمامة والسياسة لابن قتيبة، دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010

**تعريف البيان: إنه فن القول.**

**سقراط:** حسن وما دمت تمتلك ناصية البيان لما تقول، وما دمت قادرا على إعداد خطباء، فأخبرني ما عسى أن يكون هذا البيان، إن فن النسيج مثلا يتعلق بصنع الاقمشة أليس ذلك صحيحا؟

**جورجياس:** نعم.

**سقراط:** وتتعلق الموسيقى بتأليف الألحان؟

**جورجياس:** بلى.

**سقراط:** إن إجابتك تعجبني وحق "هيرا" يا جورجياس نظرا لاختصارها المنقطع النظير.

**جورجياس:** وأعتقد في الواقع يا سقراط أنني موفق في هذه الناحية توفيقا لا بأس به.

**سقراط:** هذا صحيح كل الصحة، فأخبرني إذن على النحو نفسه فيما يتعلق بالبيان، موضوع ذلك العلم؟

**جورجياس:** الأقوال .

**سقراط:** أية أقوال؟ أتلك التي تبين للمرضى نظام الطعام الذي يجب أن يتبعوه لاسترداد الصحة.

**جورجياس:** كلا.

**سقراط:** فليس البيان إذن علم الأقوال دون تمييز.

**جورجياس:** كلا بالتأكيد .

**سقراط:** ولكنك تجعل تلاميذك مهرة في الكلام.

**جورجياس:** نعم.<sup>3</sup>

أما المحاوراة الثانية فكانت بين سقراط وبولوس، ودار النقاش فيها حول ما إذا كانت البلاغة فنا أم تقنية.

<sup>3</sup>: جورجياس: ص 36.

## تعريف سقراط: البيان تجربة.

**بولوس:** ذلك ما سأفعل، أجبني يا سقراط ما هو البيان في رأيك؟

ما دام يبدو لك أنه ليس لدى جورجياس أي جواب يقدمه عن طبيعته.

**سقراط:** إذن وجب أن أفضي عليك برأيي، فأنا لا أعتبره فنا مطلقا يا بولوس.

**بولوس:** فماذا تراه إذن؟

**سقراط:** أعتبره شيئا كذلك الذي تفخر أنت نفسك في الرسالة التي قرأتها لك أخيرا، بأنك رفعته إلى مقام الفن.

**بولوس:** ماذا تعني؟

**سقراط:** نوعا من التجربة.

**بولوس:** هل البيان في نظرك نوع من التجربة؟

**سقراط:** ذلك هو رأي، ما لم يكن لك رأي مخالف.

**بولوس:** وعلى أي شيء تطلق هذه التجربة؟

**سقراط:** من أجل إنتاج نوع خاص من اللذة والإنشراح.<sup>4</sup>

وتدور المحاوراة الثالثة بين سقراط وكاليكيس، حول رأي هذا الأخير في البلاغة ومدى أهميتها في جلب اللذة والسعادة لمن يمتلكها.

لقد أراد "أفلاطون" من محاوراة "جورجياس" أن تكون فرصة لنقد بلاغة السوفسطائيين، وكشف حيلهم القولية القائمة على الزيف والمغالطة التي أساسها الاعتقاد دون اليقين والمنفعة دون الخير، فهي رامية إذن إلى اختراق المبادئ والفضائل التي كان أفلاطون ومن قبله أستاذه سقراط يريدان إرساءها في المجتمع اليوناني.

<sup>4</sup>: أفلاطون: محاوراة جورجياس، ص 54.

قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

### 1- المصادر:

- أفلاطون: محاوره جورجياس، تر: محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية، 1970

### 2- المعاجم:

- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، م2، ط1، دار صادر، بيروت، 1990.

- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله: أساس البلاغة، ط1، دار صادر، بيروت، 1992.

- إبراهيم أنيس وزملاؤه: المعجم الوسيط، ج2، ط2، دار المعارف، مصر، 1973.

- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط2، دار الملايين، بيروت، 1984.

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي: م3، دار الجيل، بيروت.

- موسوعة لالاند الفلسفية: منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001.

### 3- الكتب:

#### أ- العربية:

- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

- أرسطو: الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006.

- أبو البقاء الحسيني الكفوي، الكليات، المطبعة العامرة، مصر، د.ت.

- جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب، د.ط، مصر، 2000.
- حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010.
- أبو الحسن إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح: حقي محمد، مطبعة الرسالة، مصر، د.ط، د.ت.
- حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2004.
- حمادي صمود: في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998
- حميد اعبيدة: الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010.
- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2009.
- رشيد الراضي: الحجاج والبرهان، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010.
- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2008.
- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة د.ت.
- صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، ط1 دمشق، 2008.
- طه عبد الرحمن: في اصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي ط1، الدرا البيضاء، 1998.

- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في النظرية التداولية، دار الأمل للطباعة والتوزيع، ط2، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د.ت.
- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، سوريا، 1975.
- عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، دار الأمان، الرباط، 2013.
- عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابية الجديدة لبييرلمان وتتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998.
- \_\_\_\_\_ : الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2 دار الفرابي،
- فرج الله عبد الباري: مناهج البحث وآداب البحث والمناظرة، دار الأفاق العربية، ط1 القاهرة، 2004.
- محمد الأمين سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، دار الكتاب الجديد بيروت، 2000.
- محمد التومي: الجدل في القرآن، شركة الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت.
- مختار الفجاري: الفكر العربي الإسلامي، عالم الكتب الحديث، ط1، تونس، 2009.
- مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج 2، دار قباء للطباعة والنشر، دط، مصر، 2000.
- معاذ بن سليمان الدخيل: منزلة الكلام في النظرية النحوية العربية، مقارنة تداولية دار محمد علي، ط1، القاهرة، 2014.
- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2008.
- هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو: ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998.

**ب-الكتب المترجمة:**

- ثيوكاريسيكوس: سقراط، مسألة الجدل، تر: طلال السهيل، دار الفرابي، بيروت 2005.
- جاك موشلار وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين المجدوب، د.ط، دار سياترا، تونس، 2010.
- رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994.

**4-المقالات والدوريات:**

- أبو بكر العزاوي: سلطة الكلام وقوة الكلمات، مجلة المناهل، ع 25، الرباط، ماي 2001.
- \_\_\_\_\_ : البنية الحجاجية للخطاب القرآني، سورة آل عمران نموذجاً، مجلة المشكاة، ع19، وجدة، 1994.
- حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
- ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2005.
- سعيد فاهم: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2012.
- رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند ديكر و أنسكومبر، مجلة عالم الفكر، ع1 سبتمبر 2015.

- حجر نورما وحيدة : الاستلزام الحواري في سورة البقرة، دراسة وصفية تحليلية تداولية بحث جامعي في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا ملك إبراهيم الإسلامية الحكومية، مالانج، 2010.

- رشيد الراضي: السفسطات في المنطقيات المعاصرة: التوجه التداولي الجدلي نموذجا ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاتهن عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.

#### 5- الرسائل والمذكرات:

- إبتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية، رسالة دكتوراه في اللغة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010.

#### 6-المراجع باللغة الأجنبية:

##### 1-Dictionnaires :

- Le grand Robert : Dictionnaire de la langue Française, 1<sup>er</sup> édition, Paris, 1990.
- Longman, Dictionary of contemporary English, Longman, 1989.
- Le petit Larousse : Dictionnaire de la langue Française, Paris, 2007.

##### 2-Livres :

- Anscomber et O.Ducrot, L'argumentation dans la langue, 1<sup>er</sup> édition, Bruxelles, Mardaga, 1983.
- Michel Mayer, Questions de rhétorique, Paris, 1993.

- ———— , Logique, langue et argumentation, édition Hachette, 1982.
- O.Ducrot, Les échelles argumentatifs, édition de minuit, Paris, 1980.

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات:

7	مقدمة
10	الفصل الأول: الحجاج وإشكالاته
10	1- مفاهيم الحجاج
11	1-1- الدلالة اللغوية لمصطلح الحجاج
13	1-2- الحجاج في البلاغة اليونانية
	1-3- الحجاج في الفكر البلاغي المعاصر:
19	أ- عند الغرب
22	ب- عند العرب
24	2- إشكالية مصطلح الحجاج
24	2-1 الحجاج والجدل
28	2-2 الحجاج والبرهان
29	2-3 الحجاج والمناظرة
35	الفصل الثاني: النظرية الحجاجية في اللغة
36	1- المنطلقات الأساس للحجاج اللغوي
37	1-1 نظرية أفعال الكلام
41	1-2 التداولية المدمجة
44	2- السلم الحجاجي
47	3- ظاهرة الروابط الحجاجية
48	1-3 الروابط المدرجة للحجاج

50	.....	2-3 الروابط المدرجة للنتائج
52	.....	3-3 روابط التعارض الحجاجي
57	.....	خاتمة
60	.....	ملحق
63	.....	قائمة المصادر والمراجع
69	.....	فهرس الموضوعات